دور سليمان البارونى فى مقاومة الغزو الإيطالى فى ليبيا ١٩٠٧-١٩١٣م

وليد حامد سليم أحمد (*)

المقدمة:

كم فى الوطن من الرجال المخلصين، قد حملوا أرواحهم على أكفهم وقدموها فداء لوطنهم وقرباناً لأمتهم !! عرفوا الوطنية عقيدة راسخة فملكت عليهم حواسهم، وألهبت نفوسهم، وتدفقت حارة فى عروقهم. الوطن حديثهم فى مجتمعاتهم ومنازلهم وأنديتهم، والوطن نصب أعينهم فى خلواتهم وفى أوقات انطوائهم على أنفسهم. وقضية الوطن شغلهم الشاغل فهى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم. والمجاهد سليمان البارونى أحد هؤلاء الوطنيين، بل المثل الأعلى فى الوطنية. واحتلت شخصية سليمان البارونى مكانة اجتماعية وسياسية وعسكرية بارزة فى تاريخ كفاح الشعب الليبى من أجل طرد المستعمر الأجنبى ووحدة التراب الليبى طيلة الثلث الأول من القرن العشرين. وقدر له أن تكون حياته مواكبة لفترة تاريخية عصيبة عاشتها بلاده وواجهت خلالها الكثير من التحديات الداخلية والخارجية. والبارونى شخصية فذة لها عدة جوانب وأبعاد قلما أن تجدها، فهو سياسى، ومجاهد، ومؤرخ، وأديب، وصحفى، وشاعر، ومعلم، ومفكر، ومصلح.

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور المجاهد سليمان البارونى فى مقاومة الغرو الإيطالى فى ليبيا ١٩٠٧-١٩١٣م، وهو يحاول الإجابة عن أهم التساؤلات التالية والمتمثلة فى من هو سليمان البارونى ؟ وما هى العوامل التى أثرت فى تكوينه الشخصى؟ وما هو دوره فى حركة الجهاد فى المنطقة الغربية من ليبيا خلال فترة وقوع الغزو الإيطالى؟ وما هو موقفه من انسحاب الدولة العثمانية من بلاده بموجب معاهدة أوشى لوزان فى أكتوبر ١٩١٢م؟ وما هو دوره فى

(*) المدرس المساعد بقسم التاريخ - كلية الآداب- جامعة سوهاج.

هذا البحث من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهى بعنوان: "سليمان البارونى ودوره فى الحركة الوطنية الليبية ١٩٠٧-١٩٤٠م". وتحت إشراف: أ.د/ عاصم أحمد الدسوقى- كلية الآداب – جامعة حلوان & أ.د. أحمد عبد العال – كلية الآداب – جامعة حلوان.

تأسيس حكومة وطنية مستقلة برئاسته فى يفرن بالجبل الغربى؟ وما هو دوره فى قيادته لحركة المقاومة الشعبية المسلحة بالجبل الغربى ١٩١٣م؟ وما هى أسباب هجرته إلى خارج الوطن فى ذلك الوقت العصيب؟ ...ألخ.

ولتوضيح الموضوع فقد تم تقسيم البحث إلى المحاور التالية:

أولاً: سليمان البارونى: مولده ونشأته والعوامل التى أثرت فى تكوينه ١٩٠٧-١٩١١م.

ثانياً: دور سليمان البارونى فى حركة المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالى(١٩١١-١٩١٢م).

ثالثاً: موقف سليمان البارونى من صلح أوشى لوزان أكتوبر ١٩١٢م.

رابعاً: تأثير صلح أوشى لوزان على جهاد سليمان البارونى.

خامساً: موقف سليمان البارونى من مؤتمر العزيزية ٢٥ أكتوبر ١٩١٢م ونتائجه.

سادساً: إعلان البارونى الحكومة الوطنية المستقلة فى يفرن بالجبل الغربى برئاسته، وقيادته لحركة المقاومة الشعبية المسلحة فى الجبل الغربى.

سابعاً: هجرة سليمان البارونى إلى تونس ثم تركيا وملابساتها فى ١٩١٣م .

أولاً: سليمان البارونى: مولده ونشأته والعوامل التى أثرت فى تكوينه ١٩٠٧-١٩١١م.

ولد المجاهد سليمان بن عبد الله بن يحيى البارونى فى مدينة "جادو" فى جبل نفوسة بطرابلس الغرب عام ١٨٧٣م[١]. وينتمى سليمان البارونى إلى فرع البيت البارونى الذى استوطن الجبل الغربى جنوب طرابلس الغرب وظهر ذكره وذاع صيته فيما بين أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجرى، ويعود أصل البيت البارونى إلى قرية البروانيين فى منطقة الجبل الأخضر بسلطنة مسقط وعُمان التى جاء منها جده الأول أبو موسى هارون أحد أئمة المذهب

(١) زعيمة البارونى: سليمان البارونى تعريف موجز، دار لبنان، بيروت، ١٩٧٣م، ص٥.

الإباضى إلى منطقة جبل نفوسة وسكن فيها ونشر بها المذهب الإباضى[١].ويذكر الطاهر الزاوى فى كتابه أعلام ليبيا أن البارونى من أسرة مشهورة بين الأسر البربرية[٢]، ولعله أراد الإشارة إلى مكانة البارونى عند البربر وليس أصله؛ لأن البارونى نفسه أكد صلته بالبروانيين بسلطنة عُمان، وينفرد صلاح العقاد، بإرجاع الأصل البارونى، إلى سلالة الاتراك الذين استقروا بالبلاد وامتزجوا بأهلها[٣].

تلقى سليمان البارونى تعليمه الأول فى المدرسة البارونية التى أسسها والده بمنطقة كاباو واختصت بتحفيظ القرآن الكريم، وعلوم التفسير والحديث النبوى الشريف والفقه وغيرها من العلوم الشرعية، ثم رحل إلى جامع الزيتونة بتونس سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، ومكث بها حوالى خمس سنوات، ينهل من مناهل العلوم والمعارف، ثم رحل إلى مصر للدراسة بالأزهر عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م لمدة ثلاث سنوات، ثم رحل إلى الجزائر حيث تبحر فى علوم المذهب الإباضى لمدة ثلاث سنوات أخرى على يد قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش[٤]. وبعد عودته إلى طرابلس الغرب كانت علاقته بالدولة العثمانية جيدة إلى أن ساءت علاقته بالسلطان عبد الحميد الثانى نتيجة وشاية، فسجن ثم صدر عفو عنه عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م[٥].

---

(١) خير الدين الزركلى: الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٣، ط ١٧، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ١٢٩؛ أبو الربيع سليمان البارونى: مختصر تاريخ الإباضية، المطبعة السلفية، تونس، ١٣٦٤هـ/١٩٤٦م، ص ٥٠.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى: أعلام ليبيا، ط ٣، دار المدار الإسلامى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ص١٧٣.

(٣) صلاح العقاد: ليبيا المعاصرة، المطبعة الحديثة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٧٠.

(٤) زعيمة البارونى: المصدر السابق، ص ٥، ٦.

(٥) المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس: شعبة الوثائق والمخطوطات، قسم الوثائق العربية، ملف سليمان البارونى رقم (٩)، وثيقة رقم (١١٨)، أمر العفو عن سليمان البارونى بتاريخ ١٣١٨هـ الموافق ١٩٠٠م؛ عفاف أحمد الباشا: المؤرخون الليبيون فى القرن التاسع عشر، دار المدار الإسلامى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م، ص ١٧٤، ١٧٥.

على الرغم من نشاط سليمان البارونى الثقافى والتربوى فى الجبل الغربى، إلا أن السلطات العثمانية وضعت أمامه مختلف العراقيل الممكنة لذلك النشاط، فشككوا فى نشاطه ونسبوا له مقاصد سيئة لأنه بزعمهم عدو للدولة. كما وقفوا فى وجه تعيين والده مفتياً لفساطو وكذلك فى وجه تعيين أخية باعتبارهما على صلة وثيقة به، وضيق عليه هؤلاءالخناق فكانوا يرقبون تحركاته ويفتحون بريده حتى ضاق بهم وبجو الاستبداد الخانق فقرر الارتحال وكان دافعه لذلك كما قال " أيقنت بأن غرض القوم لإيقاعى فى شبكة لا ينالها عفو كالأولى إذ ليس كل مرة أجد من يطلب لى العفو أو يبلغ شكايتى على رأى المثل القديم ما كل مرة تسلم الجرة، فطلبت الإذن فى السفر طالباً للنجاة"، وحاول رجال السياسة الاستبدادية منعه من السفر ولكن رجب باشا الذى تولى الولاية وكان عارفاً بأمورها ويكن محبة للبارونى لم يستجب لهم فنصحه بالتوجه إلى مصر أو تونس، فاختار مصر لأن السلطات الفرنسية منعته من الذهاب إلى تونس(١).

وسافر سليمان البارونى إلى مصر ١٩٠٦م للإقامة فيها عن طريق البحر، فنزل الاسكندرية ومنها إنتقل إلى القاهرة، ووجد البارونى فى مصر ما شجعه على الكتابة والاشتغال بالصحافة وجود أصحاب الأقلام العربية من أمثال الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ عبد الرحمن الكواكبى وأديب اسحاق وأنطوان فرح وكثيرون من أبناء المشرق العربى وخاصة من سوريا ولبنان، وعاصر أيام صدور المؤيد ونشاط الحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل، فانتسب البارونى للحزب وتأثر بزعيمه، وشاهد حركات اجتماعية أخرى تفتحت فى مطلع القرن العشرين، وعاصر عهد كرومر وأزماته الداخلية فتكونت لديه حصيلة هائله من المعلومات أثرت تأثيراً مباشراً فى تكوينه الثقافى والسياسى(٢) .

وكان سليمان البارونى رجلاً تقدمياً حر الفكر، جمع بين ثقافة القديم وثقافة الحديث، فأنشأ فى مصر سنة ١٩٠٧م مطبعة باسم " مطبعة الأزهار البارونية"

(١) أحمد صدقى الدجانى: طرابلس الغرب فى آخر العهد العثمانى الثانى ١٨٨٢-١٩١١م، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٠٨.

(٢) المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، قسم الوثائق العربية، ملف سليمان البارونى رقم (٩)، وثيقة رقم (٦٥)، نبذة موجزة عن سليمان البارونى بقلم كمال الدين زغلول.

جعلها نافذة لطباعة الكتب والمؤلفات فى الحديث والفقه والتاريخ والأدب، فأصبح أول مثقف ليبى ينشئ مطبعة خارج بلاده[١] . كما أصدر فى القاهرة جريدة باسم "الأسد الإسلامى" فى عام ١٩٠٧م[٢]، وكانت تعنى بالقضايا الإسلامية وفكرة الجامعة الإسلامية وكانت آنذاك الدعوة إلى الجامعة الإسلامية فكرة ومبدأ وعقيدة وسياسة تأثر بها الأدب والبحث والدراسة التاريخية، ونلمسها واضحة فى كتابات أرباب الصحافة والقلم من أمثال محمد رشيد رضا وعلى الغاياتى وعبد العزيز جاويش من مصر ومن ليبيا أمثال محمد البوصيرى وعلى عياد وأحمد الفساطوى... الخ[٣].

عقب عودة العمل بالدستور العثمانى ١٩٠٨م عاد سليمان البارونى إلى طرابلس الغرب ورشح نفسه فى مجلس المبعوثان العثمانى عن منطقة الجبل الغربى وفاز فى ذلك الترشيح، وعندما تم تعيينه رسمياً فى مجلس المبعوثان العثمانى سافر إلى استانبول فى نهاية شهر ديسمبر ١٩٠٨م، ليقوم بدوره كعضو فى مجلس المبعوثان. وقد حفلت الاعوام الثلاثة التى أمضاها فى المجلس قبل الغزو الإيطالى بنشاطه الذى تعددت مجالاته، وأصبح البارونى همزة وصل بين الشعب الليبى فى الجبل الغربى والباب العالى فى الدولة العثمانية، يدافع عن همومه ويصلح أحواله ويحافظ على أمنه بكل إخلاص، وكان يمثل بلاده أحسن تمثيل [٤].

---

(١) سليمان البارونى: صفحات خالدة من الجهاد،ج ١، عنيت بجمعها وترتيبها: زعيمة البارونى، مطابع الاستقلال الكبرى، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م، ص ٤٩؛ زينب الجابرى التهامى: المقومات الثقافية فى ليبيا وأثرها فى مقاومة الإحتلال الإيطالى، رسالة دكتوراه، قسم البحوث والدراسات التاريخية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٨٣، ٨٤.

(٢) سليمان البارونى: صفحات خالدة من الجهاد، المصدر السابق، ص ٢١؛ فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية، ج 3، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩١٤م، ص ١٨٨.

(٣) على مصطفى المصراتى: صحافة ليبيا فى نصف قرن: عرض ودراسة تحليلية لتطور الفن الصحفى فى ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٠م، ص ١٣١.

(٤) المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية: شعبة الوثائق والمخطوطات، قسم الوثائق العربية، ملف سليمان البارونى رقم (٩)، وثيقة رقم (٧٥)، انتخاب سليمان أفندى البارونى عضوا بمجلس المبعوثان؛ سليمان البارونى: صفحات خالدة من الجهاد،=

ثانياً: دور سليمان الباروني في حركة المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي(١٩١١-١٩١٣م):

في مساء ٢٩ سبتمبر ١٩١١م أعلنت حكومة ملك إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية، وقررت توجيه حملتها من روما خلال شهر أكتوبر ١٩١١م، وفعلاً بدأت إيطاليا في مهاجمة ولاية طرابلس في ٣ أكتوبر ١٩١١م عندما أطلق الاسطول الإيطالي قذائفه على ميناء طرابلس وتمكنت القوات الإيطالية من دخول المدينة يوم ٥ أكتوبر بعد انسحاب الحامية العثمانية من المدينة واتجهت إلى الدواخل في محاولة لإقامة جبهات في المواقع الداخلية في البلاد، باستثناء بعض أفرادها الذين بقوا يقاومون القوات الإيطالية [١].

وعلى أثر إنسحاب الحامية العسكرية العثمانية من طرابلس نحو المناطق الداخلية اتخذت القيادة العثمانية مدينة العزيزية، والتي تقع جنوب طرابلس بحوالي ٤٥ كم مركزا للقيادة العامة ومن منطقة عين زارة وسواني بن آدم مقرا للجنود، وتم عقد مؤتمر عام في العزيزية ضم أعيان المجاهدين والقائد العام للقوات العثمانية نشأت بك العثماني تم فيه الإتفاق على إرسال برقية إلى الحكومة العثمانية لإبلاغها بفحوى اتفاق، يتضمن تصميم الليبيين على الجهاد ضد القوات الغازية، وتعيين نشأت بك قائداً عاماً للقوات التركية والوطنية وذلك في ٦ أكتوبر ١٩١١ م. وبدأت الاستعدادت تجرى حثيثاً لمواجهة القوات الإيطالية. ثم وضعت خطة لدعوة المواطنيين من كل جهة للإلتحاق بالجهاد، عن طريق الاتصال بأعيان المناطق وخطباء المساجد، وقد لقيت تلك الدعوات

= ج ١، المصدر السابق، ص ١٢١؛ أحمد صدقي الدجاني: طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني، المرجع السابق، ص ٣١٧.

(١) مذكرة السفارة الإيطالية في اسطنبول بشأن إعلان الحرب على الدولة العثمانية، بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩١١م، نقلا عن تاريخ القوات المسلحة التركية: الحرب العثمانية الإيطالية ١٩١١-١٩١٢م، ترجمة: محمد الأسطى، وعلي عزازي، مراجعة: نجم الدين زين العابدين، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ١٩٨٨م، ص ٥٦٠؛ الوثائق الألمانية: المجموعة الثامنة، الجزء الثاني، إعداد: مصطفى حامد رحومة، ترجمة: عمر لطفي العالم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٣م، وثيقة رقم(١١٦) ص ٢٠٤، ووثيقة رقم (١٣٤) ص ٣٤٦؛ فرنسيس ماكولا: الغزاة، ترجمة عبد الحميد شلقوف، ط ١، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع، لندن، ١٩٧٩م، ص ٦٦؛ محمد مصطفى الشركسي: أحداث الحملة الإيطالية على ليبيا ٢٩ سبتمبر ١٩١١- ٢٩ سبتمبر ١٩١٢م، مجلة الشهيد، العدد الخامس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٤م، ص ١١٢ .

استجابة منقطعة النظير، وتوافدت المجموعات المسلحة من المجاهدين على العزيزية بقيادة شيوخها، حيث كان يحدد لكل فرقة موقع لإقامتها، وكان النائبان سليمان البارونى ومحمد فرحات الزاوى نائبا طرابلس على رأس المقاومة المسلحة ضد القوات الإيطالية، يشرفان مع الضباط العثمانيين على استقبال المجاهدين، وتنظيمهم، وإعدادهم،وتسليحهم؛ وكان يتم توزيع الأسلحة على الذين ليس لديهم أسلحة،تمهيداً لإرسالهم إلى جبهة القتال، وكانت خطوط العثمانيين والعرب تشتمل على جناحين- الجناح الأيسر ويمتد إلى الشمال مارا إلى الغرب من وادى" مجنين" حيث يصل إلى أبو مليانة- أما الجناح الأيمن فكان إلى الشرق ويتجه إلى منطقة" عين زارة"، تلك هى الحالة العسكرية فى طرابلس عندما بدأ سسليمان البارونى الجهاد ضد الغزو الإيطالى [١].

واهتم سليمان البارونى مع الضباط العثمانيين بتعليم القوى الوطنية النظم العسكرية القائمة على الضبط والربط وحسن الانتظام العسكرى، حيث يذكر الطاهر أحمد الزاوى" كانوا يجمعوننا فى أوقات مخصوصة ويمروننا على النظام العسكرى، وقد تناول هذا النظام الفرسان منا والمشاة وكان الوقت ضيقاً لا يتسع لأكثر مما حاصلا"[٢]، وقد استفاد البارونى من هذه التعاليم كثيرا وهو ما سنراه فيما بعد من كفاءته القيادية والعسكرية.

وجاء سليمان البارونى إلى العزيزية على رأس مجموعة من أتباعه عددها خمسين من شيوخ الجبل الغربى للتشاور مع نشأت بك . وبعد وصوله مباشرة اجتمع مع القائد العثمانى نشأت بك ووضع نفسه فى خدمته، واتفق معه على أن تكون القيادة الرسمية فى الشق الغربى من ليبيا بقيادته، واعداً إياه بإحضار المزيد من المجاهدين للإشتراك فى القتال، ومن ثم عاد إلى الجبل الغربى واجتمع بكثير من مشايخ وزعماء القبائل العربية والبربرية فى مركز القضاء بيفرن،

(١) مصطفى حامد رحومة: الغزو الإيطالى لليبيا وبداية المقاومة الوطنية، ضمن كتاب بحوث ودراسات فى التاريخ الليبى ١٩١١-١٩٤٣م، الجزء الثانى، ط ٢، إشراف: صلاح الدين السورى، وحبيب وداعة الحسناوى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٨م، ص ٥٩، ٦٠؛ محمد فؤاد شكرى: السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ١٢٣.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، ط ٣، دار الفتح، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص ٨٦.

لاقناعهم بفكرة الجهاد ضد الاحتلال الإيطالى دفاعاً عن الإسلام والإمبراطورية العثمانية فاستجابوا لدعوته، حيث كانوا يرون أن إيطاليا دولة استعمارية صليبية يجب محاربتها ورغم الضرائب العثمانية الباهظة وسوء الأحوال المعيشية لهم فإنهم نظروا إلى العثمانيين على أنهم أصحاب دين واحد وهو الدين الإسلامى تابعين لمركز الخلافة الإسلامية فى إسطنبول، وكان الباعث على الجهاد هو مجئ الإيطاليين لاحتلال الوطن، واتفقوا على وضع ميثاق يديرون بمقتضاه دفة الدفاع عن وطنهم، ويبنون على أساسه قواعد الجهاد، واجتمعوا لملاقاة عدوهم باسم " الجيش الإسلامى الطرابلسى"، تحت لواء المجاهد سليمان البارونى، وانضم إليه أكثر من ألف مقاتل من المتطوعين(١) .

وقام سليمان البارونى ومن معه من الزعماء وقادة الجهاد بفتح دفاتر لقيد أسماء المجاهدين فى سبيل الله" ... وسجل سليمان البارونى اسمه كأول اسم من أسماء المجاهدين فى هذا الدفتر ثم بدأ فى دعوة جميع القبائل، كل قبيلة باسمها وإسم زعيمها أو شيخها وأخذ يشجعهم على فتح دفاتر فى نواحيهم لتسجيل أسماء المتطوعين ودعاهم إلى الإسراع فى القدوم إليه وبسرعة، وذلك للزود عن الوطن وحماية للدين الحنيف وزوداً عن الشرف وحفاظاً لشرف الأهل والأولاد..."(٢). فتوافدت مجموعات من المجاهدين من سائر نواحى طرابلس وفزان، ومن الجبل الغربى ومن الجنوب من ترهونة، وأورفله، وتاورغة، والزيتان، والرجبان، والرحيبات، ومزدة، وزليطن، ومن الزاوية، وجنزور، والعجيلات، ومن فزان، ومن سائر الجنوب، واعداد كبيرة من الطوارق، وكان هؤلاء الأهالى (المجاهدين) مقبلين على الحرب كأنهم منضوون إلى أعراس(٣).

وسارع سليمان البارونى بقواته إلى ميدان المعركة فى المناطق المحيطة بطرابلس، وشن أولى هجماته على مواقع الغزاة الإيطاليين فى ٢٣ أكتوبر

(١) تاريخ القوات المسلحة التركية :المصدر السابق، ص ١٥٩؛ الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس، المصدر السابق، ص ٩٣؛ جى. أف. أبوت: الحرب المقدسة فى طرابلس الغرب، ترجمة: عبد الحفيظ الميار، دار الفرجانى، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٦٠.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس، المصدر السابق، ص ٣١-٣٣؛ رفعت عبد العزيز سيد أحمد: الجهاد الليبى فى عشر سنوات ١٩١٢-١٩٢٢م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٨٢م، ص ٦٠

(٣) رفعت عبد العزيز سيد أحمد: المرجع السابق، ص ٦٠.

١٩١١م فكانت معركة الهانى " شارع الشط"، ومنذ تلك اللحظة لم يترك هو وشيوخه الجيش العثمانى ليوم واحد، وكان لتعاونهم أرفع قيمة للقضية ذلك أن عرب الجبل الغربى مشهورين بأنهم من بين أعظم مقاتلى طرابلس الغرب، وإقليمهم لا يحوى أقل من ألف عشيرة، تصل فى مجموعها إلى ما يربوعلى مائة وخمسين ألف رجل، يقال أن ثلثهم مزودون بالبنادق، وكان سلاح المجاهدين المستخدم فى المعارك الأولى أثناء مواجهتهم الطليان هو بوصره وبصوانة وبومشط والموزر والسيوف والفؤوس والجناجر، وكان سلاح الطليان هو المدافع والرشاشات والبومشط. ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه القوى الوطنية كانت فى بادئ الأمر مسئولة عن مؤنتها ولوازمها أما الفقراء منهم فقد قدم إليهم أغنياء الشعب ما يحتاجون إليه من القوت الضرورى، وأبلى سليمان البارونى فى هذه المعركة بلاءاً حسناً، إذ أثبتت بسالة وقوة المقاومة العربية الوطنية،والوقوف فى وجه قوات الغزو، كما أن هذه المعركة تعتبر المحك الحقيقى للتلاحم العسكرى بين القوتين، كما انها خيبت أمل الإيطاليين فى أن احتلال ليبيا سيكون سهلاً، وأن الوجود العسكرى الإيطالى فى المدينة مهدد بالفناء، فانتقمت القوات الإيطالية من السكان يومى ٢٤و ٢٥ من أكتوبر ١٩١١م، حيث قتلت أعداداً كبيرة منهم، ونفت أعداداً أخرى إلى الجزر الإيطالية ووضعتهم فى السجون(١)، ورغم ذلك قام البارونى ومن معه من المجاهدين بهجوم جديد على مواقع العدو، ففى يوم ٢٦ أكتوبر من نفس السنة، جرت معركة الهانى " أبو مليانة"، مما أدى إلى اضطرار القوات الإيطالية إلى تضيق جبهتها. كما أن المقاومة الأخرى حققت عدة إنتصارات فى معارك حول طبرق، ودرنه، وبنغازى، ومصراته، الأمر الذى أدى إلى إبقاء القوات الإيطالية داخل

(١) فرنسيس ماكولا: المصدر السابق، ص ٢١٤؛ رومين راينيرو: معركة شارع الشط فى تاريخ الاحتلال الإيطالى لليبيا، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، يناير ١٩٨٧م، ص ٧٩-٩٧؛ أورخان قول أوغلو: مذكرات الضباط الأتراك حول معارك ليبيا، ترجمة: وجدى كدك، مراجعة: عماد حاتم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٧٦م، ص ٢٠٤.

المدن التى تمكنت من احتلالها فى بداية الغزو ولم تتمكن من مد نفوذها نحو الدخل(١).

وقاوم سليمان البارونى الغزو الايطالى مقاومة عنيفة كبدت الايطالين خسائر كثيرة، وعندما شعرت الحكومة الإيطالية بازدياد حركة المقاومة التى تصدت لقواتها فى جميع الجبهات التى فتحتها على الساحل الليبي وإنها ربما تتعرض للفشل فى حملتها العسكرية أعلنت إيطاليا رسمياً ضم طرابلس وبرقة إلى إيطاليا بموجب مرسوم أصدرته فى يوم الخامس من نوفمبر ١٩١١م، وكان ذلك من أجل الضغط على حركة المقاومة والضغط على الحكومة العثمانية وإقناعها بالتخلى عن ليبيا(٢).

وقد قوبل هذا المرسوم بالارتياح فى الأوساط الإيطالية وبالرفض والاستنكار من جانب المجاهدين الليبيين ؛ وفى مقدمتهم سليمان البارونى والعثمانيين الذين أصروا على مواصلة الجهاد، كما قوبل القرار نفسه بانتقادات شديدة فى الأوساط الدولية التى تساءلت كيف تقدم إيطاليا على مثل هذا القرار وهى ما زالت فى المدن الساحلية من ليبيا ولم تستكمل احتلالها، كما أن هذا القرار سيقلل من فرص السلام وسيدفع الدولة العثمانية إلى الاستمرار فى الحرب(٣).

ومما سبق يتضح ما يلى:

١. نجاح المقاومة التى قادها سليمان البارونى وغيره من المجاهدين الليبيين فى وقف التقدم الإيطالى الذى اقتصر على مدن ساحلية.

٢. إحراج موقف إيطاليا أمام الرأيين العام الإيطالى والأوروبى.

---

(١) مصطفى حامد رحومة: النشاط السياسى الأوروبى وانعكاساته على حركة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثانى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، يوليو ١٩٨٥م، ص ٦٩؛ خليفة محمد التليسى: معجم معارك الجهاد فى ليبيا ١٩١١-١٩٣١م، دار الثقافة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص ٤٨٥،٤٨٦.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس، المصدر السابق، ص ١٢٨؛ مصطفى حامد رحومة: الأبعاد السياسية لمعاهدة أوشى لوزان، مجلة الشهيد، العدد المزدوج السابع والثامن، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، أكتوبر ١٩٨٦م، ص ١٤.

(٣) عبد المولى صالح الحرير: موقف إيطاليا وألمانيا وإنجلترا من تركيا، مجلة البحوث التاريخية، السنة العاشرة، العدد الأول، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٨م، ص ١٢٠،١٢١.

٣. محاولة إيطاليا تهدئة الرأى العام الإيطالى بإعلانها ضم طرابلس وبرقة للتاج الإيطالى.

٤. خيبة أمل إيطاليا عندما أعلنت الدول الأوروبية موقفها المتحفظ من مسألة ضم الولايتين، على الرغم من المعاهدات التى سبق وعقدتها مع هذه الدول والتى تتعهد فيها بالاعتراف ومساعدة إيطاليا فى إحتلال طرابلس الغرب.

٥. مدى الضعف الذى أصبحت عليه الدولة العثمانية، ومحاولتها دفع الدول الأوروبية للالتزام بالمعاهدات التى تنص على الحفاظ على وحدة وسلامة أراضيها، فى محاولة منها لمواجهة أطماع إيطاليا فى طرابلس.

وأثناء عقد مجلس المبعوثان العثمانى بجلسته بتاريخ التاسع من نوفمبر ١٩١١م تليت برقية قادمة من جبهة القتال فى طرابلس تحمل توقيع سليمان البارونى، جاء فيها ما نصه" إننى قادم من ميدان الحرب وأن الوضع العسكرى لصالحنا وأن الروح المعنوية للأعداء محطمة"(١)، ولقد كانت المعلومات التى يرسلها المجاهد سليمان البارونى عن سير آلة الحرب فى ليبيا ذات أهمية فى مجلس المبعوثان حيث ترتب على ذلك تقديم اتهامات لحكومة حقى باشا الصدر الأعظم (٢).

وقاد سليمان البارونى العديد من المعارك خلال فترة الجهاد الأولى بطرابلس، ومن بين هذه المعارك التى قادها معركة الهانى ضريح سيدى المصرى وهى فى نفس الموقع الذى حدثت فيه المعركة السابقة فى ٢٦ نوفمبر ١٩١١م، وكان من نتائج هذه المعركة أن إيطاليا لم تستطع سوى استعادة خطوطها الدفاعية السابقة، وظلت القوات الإيطالية تحاول الخروج من الحصار المضروب حولها إلى أن وقعت معركة عين زارة فى ٤ ديسمبر ١٩١١م، إلا أن البارونى استطاع

---

(١) أورخان سعد الله كولوغلو: ليبيا والليبيون فى مجالس النواب العثمانية، ترجمة: د. عبد الكريم عمر أبو شويرب، مراجعة: صلاح الدين حسن السورى، المركز الليبى للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠١٢م، ص ٣٢.

(٢) الوثائق الأمريكية: المجموعة الأولى، ترجمة: شمس الدين عرابى بن عمران، إعداد: مصطفى حامد أرحومة، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٩م، تقرير تقدم به نائب طرابلس فى مجلس المبعوثان، وثيقة رقم ٢، المرفق أ، ص ٤٦-٥١؛ الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ٦٣-٧٠.

مع المجاهدين الطرابلسيين إحباط محاولة القوات الإيطالية فى التوسع، وفى النهاية تمكن الإيطاليون فى ١٣ ديسمبر ١٩١١م من الخروج من الحصار المضروب عليهم واحتلال تاجوراء، بينما لم يستطيعوا توسيع دائرة احتلالهم نحو الغرب إلا بعد ثلاثة أشهر من النزول، وقد أبلى سليمان البارونى فى هذه المعارك وغيرها بلاءاً حسناً[١].

وعبر سليمان البارونى عن بسالته مع المجاهدين فى هذه المعارك، وقوتهم فى الوقوف أمام العدو الإيطالى بقصيدة قال فيها:

قد هجمنا هجمة الأسد على استحكام هانى
فانجلوا عن سيدى المصرى وعن جل السوان
فلنثابر فلواء النصر لا يعطى لوان
غضب الله علينا وهجانا الملوان
إن خضعنا أو رضينا سلطة للطليان
إن فى الدنان العنان[٢]

ولدور سليمان البارونى فى مقاومة الغزو الإيطالى واعلان الجهاد والتعبئة الوطنية ضدهم، وباعتباره من ذوى الحقوق فى الرعاية وعضو مجلس المبعوثان، واستمراره فى موقفه الرافض للإحتلال، حاول قادة الجيش الإيطالى استمالته إلى جانبهم مقابل امتيازات يمكن أن تمنحها إيطاليا له، وطلبوا منه التسليم بالأمر الواقع من خلال رسالة مطولة بعث بها الجنرال سالساتو مانور Sulston manor (وكيل الوالى الإيطالى فى طرابلس) بتاريخ ١٦ يناير ١٩١٢م يدعوه فيها إلى الإستسلام جاء فيها" لحضرة صاحب السعاة سليمان بك البارونى المبعوث المحترم.....هو من هيأ ولا يزال يهيئ الوسائل لمقاومة احتلالنا، وأنكم من أعظم المعاضدين للترك والمجندين، إلا أنه لا يجهل أيضاً أنكم متصفون بالفطانة والذكاء وتنفردون بالآداب والمعارف... نعرض على حضرتكم

(١) خليفة محمد التليسى: المرجع السابق ص ٣٦٧، ٤٩١؛ رفعت عبد العزيز سيد ومحمد إمحمد الطوير: تاريخ الجهاد فى ليبيا ضد الغزو الإيطالى ١٩١١-١٩٣١م، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٣٢.

(٢) سليمان بن عبد الله البارونى: ديوان البارونى، اعتنت به: زعيمة سليمان بن عبد الله البارونى، مراجعة: سلطان بن مبارك بن حمد الشيبانى، ط ١، مكتبة مسقط، مسقط، ٢٠١٢م، ص ٢٠٠.

أن تنزعوا إلينا لمعاضدتنا لكى ننهى الحرب بأقرب زمن لا سيما وأنتم واقفون على أحوال السياسة فى أوروبا.... فإن شاركتمونا فى رفع مقاومة العرب وإزالتها إذ لا تجدى نفعاً ولا طائل فيها تحوزا فضلاً ومزية عظيمة فى نظر دولة إيطاليا التى لا تعدكم فقط أن تنسى كل ما أسلفتموه فى حقها إلى هذا اليوم وأن تمنحكم تمام العفو عن ذلك، وهى مستعدة أن تكافئ خدمتكم بصورة تفوق تصوركم، ونحن نتكفل بذلك التعهد، إنما خير البر عاجله كما لا يخفى عنكم...وإن لم تروا من المناسب والموافق إجابتنا تحريراً فليكن ذلك بواسطة شخص تعتمدون عليه وتثقون به وهذا ما لزم ودمتم سالمين". وكان رد البارونى على ذلك واضحاً وحاسماً ومختزلاً فى الأول من ربيع الأول ١٣٣٠هـ/ ١٨ فبراير ١٩١٢م نصه:" إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلو على وأتونى مسلمين، خاضعين للعلم العثمانى المقدس"[١]. وبذلك رفض البارونى الاغراءات التى قدمت له، والعفو التام عنه جملة وتفصيلاً، واستمر فى الجهاد ضد الإيطاليين ومقاومتهم، وهذا ينم عن شخصيته الجهادية وحبه الشديد للوطن ورغبته فى استقلاله.

وبعد معارك الغزو الأولى التى استغرقت شهور من أكتوبر ١٩١١م حتى مارس ١٩١٢م، انتقل ميدان الحرب إلى سوانى بن آدم فى منتصف الطريق بين الجبل الغربى وجنوب طرابلس، وهناك اتخذ سليمان البارونى مع المجاهدين الليبيين معسكرهم العام وكونوا له نظاماً أساسيا يديرون حركة الحرب على مقتضاه، والنص التالى يوضح هذا النظام: " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم نصر من الله وفتح قريب" بعونه تعالى- فى هذا اليوم الاثنين المبارك ١١ من جمادى الأول الموافق ١٦ من نيسان أبريل ١٩١٢م صار تنظيم هذا الدفتر لمعسكر مجاهدى الجبل فى سانية ابن آدم بمعرفة هيئة الآلآى المركبة من الذوات الكرام الأتية أسمائهم على النسق المبين(وكتب أسماء القادة مع أسماء القبائل، كل قبيلة على حده). وبمعرفة هذه الهيئة يكون تسليم السلاح والذخيرة والارزاق للمجاهدين وتنظيم مضبطة فى نهاية كل أسبوع على مقتضاها يكون جلب الأرزاق من العزيزية. وتنظيم مضبطة أخرى

(١) نقلاً عن أبو القاسم البارونى: حياة سليمان باشا البارونى، ط ٢، مطابع عيسى البابلى الحلبى وشركاؤه، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ٥٣، ٥٤.

فى نهاية كل شهر بموجبها تؤخذ المعاشات وتوزع بمعرفتها. ويكون ترتيب القراقولات(قوات المراكز الأمامية الليلية ومأموريها) ويكون توجيهها إلى مواقعها المخصصة لها أمام العدو فى الأوقات المعينة، وتنظيم دفاتر المجاهدين المقرر جلبهم من الجهات، وغير ذلك مما يتعلق باصلاح المعسكر على شرط الاستقامة والعفة والاجتهاد التام، وكل ذلك يجب أن يكون مذيلاً بتوقيعنا ليجرى به العمل بلا إهمال" توقيع سليمان البارونى فى ١١ جمادى الأول ١٣٣٠هـ/ ١٦ أبريل ١٩١٢م[١].

ويتضح من ذلك أن المقاومة فى سنتها الأولى وقبل إعلان الصلح كانت مقاومة منظمة إشترك فيها المجاهدون الليبيون من جميع الجهات، وأثبتت الكفاءة والقوة والشجاعة التى أظهرها سليمان البارونى فى تجميع المجاهدين وقتاله إلى جانبهم فى المعارك السابقة، كما كان يتمتع بمقدرة عسكرية كبيرة حيث اتخذ من "سوانى بن آدم" مكاناً للتجميع والانطلاق لأن هذا الموقع لا يبعد عن طرابلس بأكثر من ٢٥ كم وهى منطقة زراعية لا يصل إليها العدو بسهولة كما أنه يمكن تموين الجيش الليبى منها. وكان الالتحام مع الإيطاليين من هذا الموقع يصل إلى قرب الإيطاليين بحوالى ٢ كم ولا يبعد عن طرابلس بأكثر من ٦ كم.

وحين علم سليمان البارونى ومحمد سوف المحمودى والشيخ محمد فرحات الزاوى بزحف القوات الإيطالية شرقاً من" أبو كماش تحت قيادة الجنرال" غاريونى" فى ٢٦ يونيو ١٩١٢م أسرعوا بالمجاهدين الليبيين إلى أرض المعركة التى تركزت حول " سيدى سعيد"، وكانوا يعملون جنباً إلى جنب مع القائد العثمانى " موسى اليمنى" القائد الأعلى لهذه المعركة والتى استمرت ثلاثة أيام واستشهد فيها من المجاهدين ٧٠٠ شهيد، وعند انتهاء المعركة أرسل " غاريونى" برقية عن المعركة يقول فيها" عند الساعة الثامنة والنصف ارتفعت رايتنا المجيدة عند سيدى سعيد التى انتزعناها من عدو كبير العدد كان قد تحصن بها، وذلك بعد معركة كبيرة ساهمت فيها كل القوات العاملة تحت إمرتى" . ولأهمية هذا التقرير قام جيوليتى بقراءته على أعضاء مجلس الشيوخ

(١)أبو القاسم البارونى: المصدر السابق، ص ٤٥؛ رفعت عبد العزيز سيد أحمد: المرجع السابق، ص ٦٠،٦١.

الإيطالى، واسندت القيادة الإيطالية إلى الجنرال " ليكيو" مهمة الاستمرا فى مهاجمة المجاهدين[١]، مما يدل على قوة المقاومة بقيادة البارونى، والصعوبات والمضايقات التى وجدتها القوات الايطالية.

وكان بروز دور سليمان البارونى فى بداية الغزو ومقاومته للعداون الإيطالى، وحمله راية الجهاد الأولى مع أبناء وطنه- ليس فقط من خلال مشاركته بالسيف فى المعارك ضد المستعمرين الإيطاليين- وإنما كان له دور كبير أيضاً فى مجال الإعلام من خلال قلمه، فقد كان يقوم بالاتصال برؤساء تحرير الصحف فى البلدان العربية المختلفة، ونشر العديد من المقالات بصحفهم التى كانت تتابع حركة المقاومة، والمنددة بالاستعمار الإيطالى، لاطلاع العالم بما يجرى فى ليبيا من تهجير وتشريد وتنكيل، ومن الصحف التونسية التى راسلها البارونى جريدة مرشد الأمة حيث راسل مديرها سليمان الجادوى بمراسلات مخصوصة عن الانتصارات العثمانية المتتالية فى معركة قصر الهانى[٢]، كما قام بنشر عدة مقالات بصحيفة الزهرة التونسية التى كان رئيس تحريرها عبد الرحمن الصنادلى، كان لها أثرها الفعال فى دعم المقاومة، ومن بين هذه المقالات، مقالاً تحدث فيه عن أخبار الجهاد فى ليبيا ضد المستعمر الإيطالى، والانتصارات التى يحرزها المجاهدون الليبيون على الغزاة الأيطاليين[٣]، بالإضافة إلى حديث مع صحفى قادم من ساحة الحرب الليبية، تناول فيه حديثاً حول معركة سيدى عبد

---

(١) خليفة محمد التليسى: المرجع السابق، ص٣٠٤-٣٠٨؛ رفعت عبد العزيز سيد ومحمد أمحمد الطوير:المرجع السابق، ص ٣٧-٣٩.

(٢) عبد الكريم الماجرى: الصحافة التونسية والغزو الايطالى لليبيا ١٩١١-١٩١٢م، مجلة روافد، عدد ٤، المعهد العالى لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، جامعة منوبة، تونس، ١٩٩٤م، ص ١٥٢.

(٣) صحيفة الزهرة: عدد ١٢٠٩، مقال شاهد عيان بعنوان" صحيفة من تاريخ الحرب الحاضرة"، ٢٥ يوليو ١٩١٢م، تونس، ص ١، ٢؛ مصطفى حامد رحومة: دور الصحافة العربية فى حركة المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالى، مجلة الشهيد، العددان ٩٣-٩٤، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٣م، ص ١٠٤؛ وللإطلاع على العديد من المقالات التى كتبها سليمان البارونى فى الصحف التونسية ومن بينها صحيفة الزهرة التونسية أنظر : محمد صالح الجابرى: يوميات الجهاد الليبي فى الصحف التونسية ١٩١٢-١٩٣٢م، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٢م، ص ٢٦،٢٧.

الصمد فى زاورة ١٥ أغسطس ١٩١٢م، وكيف قاوم المجاهدون قوات الاحتلال الإيطالية، ثم تحدث بفخر واعتزاز عن دور المرأة الليبية فى المقاومة بحمل المياه والغذاء والذخيرة إلى خنادق المجاهدين دون أن ترهبهن قنابل القوات الإيطالية، وكيف كانت النسوة يتسللن بين كثبان الرمال وهن يحملن الماء فى الجرار والقرب حتى يصلن إلى الخنادق التى كانت يختبئ فيها المجاهدون ويوزعن عليهم الماء والعدو يرمهين بالقنابل، ولم يقتصر هذا الأمر على نساء زاورة بل هناك الكثير من النسوة اللاتى يتسللن إلى خطوط المواجهة فى أغلب المعارك التى جرت فى ربوع ليبيا، ومن اللاتى اشتهرن بالقيام بهذا العمل، المجاهدة المعروفة بأم حلاط لقبت بذلك لأنها كانت تضع حلاطاً فى وسطها تنقل فيه الذخيرة للمجاهدين، ومثلها كانت معلومة الهنداوى [١]، ونتيجة لهذه المقالات والصمود والعزيمة لدى البارونى والمجاهدين استطاع أن يستثير إخوانه من العرب والمسلمين لمساندتهم فى جهادهم ومدهم بالمساعدات فشكلت لجان لجمع التبرعات فى كل من مصر برعاية الأمير عمر طوسون وفى تونس برعاية رحومة الجاوس، كما قامت مظاهرات تأييد بالهند وباكستان وسوريا والجزائر ومصر لمساندة حركة الجهاد الليبية[٢]. ويتضح لنا من ذلك بروز الوعى السياسى والصحفى لسليمان البارونى فقد استعمل كل الطرق لتحرير بلاده من العدو الإيطالى، حتى أنه اتخذ من الثقافة والإعلام وسيلة للضغط على الإيطاليين، وكشف طبيعة العدوان الإيطالى على ليبيا أمام الرأى العالمى .

وقد ذكر الرحالة الفرنسى جون ريمون، حديثاً للمجاهد محمد فرحات الزاوى، تحدث فيه عن دوره فى التعبئة الأولية فى مناطق الزاوية والعزيزية والعجيلات وزواره، كما أشار إلى الدور الفعال الذى لعبه سليمان البارونى، فقال" وبينما كنت ألهب حمية الناس هنا، كان سليمان البارونى، يقوم بنشر الثورة فى كل الجبل الغربى". كذلك أخبرنا الرحالة جون ريمون عما شاهده فى معسكر سوانى

(١) محمد صالح الجابرى: المرجع السابق، ص ٤٣٦؛ أحمد زارم: مذكرات أحمد زارم، الدار العربية للنشر، ليبيا، تونس، ١٩٧٩م، ص ١٢٨؛ جميلة الحرارى: المرأة والجهاد فى ليبيا، مجلة الشهيد، العددان ٩٣-٩٤، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٣م، ص ٨٦،٨٧.

(٢) محمد إبراهيم لطفى المصرى: تاريخ حرب طرابلس، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق، بنها، مصر، ١٩٤٦م، ص ٣٧،٣٨.

بن آدم بأن هناك متطوعين وصفهم بقوله " لم أجد قوما عندهم شغف بالموت كهؤلاء القوم"، والمعسكر أمام طرابلس به متطوعين من الطوارق ومن فزان وأهل غريان وزليطن وورفلةوترهونة، ومن الساحل، ويصفهم بقوله " إذا سمع هؤلاء نداء الحرب قامت قيامتهم وتدفقوا إليها كالسيول من الجبال وبالجملة فالحرب عندهم أشهى لذة تتصورها عقولنا"[١].كما وصف المعاصرون الأجانب اشتراك سليمان البارونى فى هذه المعارك على أنه " رفع من قيمة القضية الوطنية الليبية"[٢].

وهكذا تميزت حركة الجهاد الليبى ضد الغزو الإيطالى بزعامة سليمان البارونى فى بداية الاحتلال أكتوبر عام ١٩١١م إلى أكتوبر ١٩١٢م باتساع نطاق المقاومة وشموليتها وبروز وحدة الصف بين المجاهدين، ولعل من بين العوامل التى ساعدت على زيادة حماس هؤلاء المجاهدين وتفانيهم فى الصمود ضد الغزو والدفاع عن الوطن والدين فى تلك الفترة، هو وجود نوع من التعاون الذى ساد بينهم وبين القوات العثمانية التى كانت معسكرة فى البلاد أثناء الاعتداء الإيطالى، والتى كانت تقدر بحوالى خمسة آلاف جندى[٣].

وكانت أبرز أوجه التعاون: هو ضمان وصول الإمدادات العسكرية والمؤن من الدولة العثمانية التى كانت تمثل المصدر الأساسى، خاصة فيما يتعلق بالإمداد بالسلاح،وإقامة المعسكرات التى كانت تدرب فيها المتطوعين للجهاد، وإعداد الخطط العسكرية، بالإضافة إلى ذلك فقد لعب العامل الدينى دوراً أساسياً فى تكاتف الجهود بين المجاهدين الليبيين والعثمانيين، وتلاحمهم فى المعارك ضد

(١) جورج ريمون: من داخل معسكرات الجهاد فى ليبيا: ترجمة: محمد عبد الكريم الوافى، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ١٩٧٩م، ص ١٠٠-١٠٥؛ لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى: ترجمة: عجاج نويهض، يحمل تعليقات بقلم الأمير: شكيب أرسلان، ط ٤، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص ١٦٨.

(٢) جى. أف. أبوت: الجهاد فى طرابلس، ترجمة: د. عبد القادر المحيشى، مراجعة: د. محمد عبد الوهاب سيد أحمد، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٠م، ص ١٥٣.

(٣) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ١٥٤، ١٥٥؛ أحمد عطية مدلل: المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالى وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها أغسطس ١٩١٤م- أبريل ١٩١٥م، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى: طرابلس، ١٩٨٩م، ص ١٨.

الإيطاليين، حيث أن الإسلام كان يمثل الرابطة الروحية الدينية التى ربطت بين الليبيين والعثمانيين ضد عدوهم المشترك، ومن ثم رفعوا راية الجهاد باسم الإسلام وتحت رعاية السلطان العثمانى الذى يمثل الوحدة الدينية والسياسية بالنسبة للمسلمين، وهو ما كان ينادى به سليمان البارونى، فى جريدته " الأسد الإسلامى" التى أصدرها فى مصر عام ١٩٠٧ ، كما ذكرنا سابقاً. كما أن العثمانيين كانوا يمثلون أداة الحكم السياسية والادارية فى البلاد بحكم تبعيتها للدولة العثمانية ومن ثم فقد عملوا على سد الفراغ السياسى فى البلاد، الأمر الذى ساعد على تماسك الجبهة الداخلية وحال دون حدوث أى انقسامات سياسية أو ظهور زعامات محلية متنافسة خلال هذه الفترة الأمر الذى أدى إلى توجيه جميع الجهود إلى محاربة العدو(١).

ثالثاً: موقف سليمان البارونى من صلح أوشى لوزان أكتوبر ١٩١٢م:

عندما شعر الليبيون أن رجال السياسة فى الآستانة قد أخذوا يتأهبون فعلاً للمضى فى طريق الاستسلام ثارت ثائرة المجاهدين واحتج زعماء الجهاد فى ليبيا عما كان يجرى دون علمهم، حول بلادهم الذين هم أحق من غيرهم فى الدفاع عنها (٢)، فأرسل سليمان البارونى برقية إحتجاج باسم المجاهدين إلى مجلس المبعوثان العثمانى فى ١٩١٢م، جاء فيها " لا نرضى بصلح يخل بعثمانيتنا ويجعل للعدو أى مدخل فى بلادنا، ولو أبرمته الدولة ورضيه الخليفة، ونحن الآن نحارب باسم العثمانيين والطرابلسيين، فإذا أبرم الصلح على ما لا يرضينا،أمكننا مداومة الحرب باسم الطرابلسيين فقط إلى آخر قطرة من دمائنا، ولا يوجد بيننا متقاعد عن الحرب أو ميال للعدو أو مسالم له قط، وقد أوجبنا الحرب على كل قادر بدون استثناء، ولا دخل فى ذلك للترك أصلاً، وسنجلب ما يلزمنا من المدافع الموجودة فى غريان إلى خط الحرب إذا تجاوز العدو خط النخيل، وما دامت الدول العظمى ملتزمة الحياد فإننا نحارب باسم دولتنا ووطننا،

(١) عبد الله على إبراهيم: آثار صلح لوزان على حركة الجهاد الليبى، فى كتاب " بحوث ودراسات فى التاريخ الليبى ١٩١١-١٩٤٣م"، المرجع السابق، ص ١٥١.

(٢)مصطفى حامد رحومة: الأبعاد السياسية لمعاهدة أوشى لوزان ١٩١٢م، المرجع السابق، ص٢٣، ٢٤.

ومتى ظهر منها الوقوف في طريق إنتصاراتنا وقوفاً غير شرعي فإننا نعد ذلك تعصباً منها، وإذاً سنحارب باسم الدين فقط"[١].

وقد طلب سليمان الباروني من الدولة العثمانية أن تقف إلى جانب المجاهدين الليبيين ضد الغزو الإيطالي وعدم الصلح مع الإيطاليين، وقد أكد الباروني للحكومة العثمانية على ما يلي:

١. تأكيده بأن الليبيين يرفضون الصلح مع إيطاليا حتى وإن كان هذا الصلح صادر من الخلافة العثمانية.

٢. مواصلة الجهاد ضد الإيطاليين على الرغم من الإمكانيات العسكرية الضخمة التي يمتلكها العدو.

٣. أن العدو بإمكانياته الحربية الضخمة لم يستطع التقدم من السواحل إلى المناطق الداخلية.

٤. أن تخلى الدولة العثمانية عن المجاهدين الليبيين في ظل هذه الظروف وقبول الصلح سوف يثير العالم الإسلامي عليها.

٥. إذا تخلت الدولة العثمانية عن المجاهدين الليبيين في جهادهم ضد العدو الإيطالي فأنهم سيواصلون الحرب باسم الليبيين لأن الدفاع عن البلاد من واجب أهلها ولا علاقة للعثمانيين بهذا الدفاع.

٦. إذا ظلت الدول الأوروبية الكبرى على الحياد فالحرب محصورة بين المجاهدين الليبيين والإيطاليين وإذا أخلت هذه الدول بالحياد وناصرت إيطاليا فإن محاربتهم واجبة لاتخاذهم موقف الانحياز للإيطاليين.

٧. أكد الباروني للدولة العثمانية أنه على ثقة تامة بأن العدو الإيطالي لم ينتصر وسيظل مقهوراً وأن لديهم من الإمكانيات ما يجعلهم يستمرون في المقاومة الوطنية وقد تمثلت هذه الإمكانيات في:

أ. إن ما لديهم من الأسلحة كثيرة لدرجة أنهم لم يستخدموا الأسلحة التي غنموها من العدو الإيطالي.

---

(١) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص١٤٠، ١٤١؛ رفعت سيد عبد العزيز سيد: المرجع السابق، ص ٦٢، ٦٣؛ مصطفى حامد رحومة:الأبعاد السياسية لمعاهدة أوشي لوزان، المرجع السابق، ص ٢٤؛ رفعت عبد العزيز سيد ومحمد إمحمد الطوير: المرجع السابق، ص ٥٥، ٥٦.

ب. أدى سقوط الأمطار إلى زيادة كبيرة فى المحاصيل الزراعية لدرجة لم يعتادوها من قبل مما يؤمن لهم الغذاء والعلف لآلاف من الخيل والجمال المخصصة للحرب.

ج. تم تعيين بعض المجاهدين فى الشرطة من كل قبائل المنطقة الغربية من ليبيا لحفظ الأمن وتمويل المجاهدين بالمعدات الحربية، وبالفعل هم قائمون على ذلك منذ نشوب الحرب بكل نشاط واهتمام حتى أنك تشعر وكأننا لسنا فى حرب.

د. تقريب خطوط التموين وربطها بمواقع الحرب لتسهيل عملية الحصول عليها.

ه. توحيد صفوف الجبهة الداخلية وأن الطرابلسين كلهم على قلب رجل واحد فى مداومة الحرب.

و. تأمين خط دفاعهم بالمدافع ووضعها فى جبهة الحرب استعداداً للرد على العدو الإيطالى إذا حاول التقدم من السواحل إلى المناطق الداخلية(١).

غير أن الأوضاع السياسية والعسكرية أصبحت غير مواتية فى الدولة العثمانية منذ بداية شهر أكتوبر حيث قامت الثورة فى البلقان(٢)، كما أعلنت كل من المجر والنمسا وروسيا الطوارئ فى جيوشها ضد الدولة العثمانية، إضافة إلى ذلك أن إيطاليا هددت الموانئ العثمانية، ونتيجة لهذا وتعرض الدولة العثمانية إلى أزمة اقتصادية وسياسية جديدة، لجأت حكومة" غازى أحمد مختار باشا" إلى إتخاذ الإجراءات اللازمة لاستئناف محادثات الصلح، والموافقة على الشروط الموضوعة

(١) رسالة سليمان البارونى إلى الصحافة العثمانية مؤرخة عام ١٩١٢م ؛ رسالة سليمان البارونى إلى صحيفة الزهرة التونسية مؤرخة عام ١٩١٢ م نقلاً عن أبو القاسم البارونى: المصدر السابق، ص ٤٧-٥٠؛ أكرم عثمان عبد الرازق عمر: صلح لوزان وآثاره على حركة المقاومة الوطنية الليبية ١٩١٢-١٩١٤م، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٢م، ص٨٠-٨٢.

(٢) التقارير العسكرية العثمانية حول إعلان دول البلقان الحرب على الدولة العثمانية فى أكتوبر ١٩١٢م، وقد ردت الدولة العثمانية بالهجوم على الجبل الأسود فى ٨ أكتوبر ١٩١٢م وعلى بلغاريا فى ١٦ أكتوبر ١٩١٢م، وعلى الصرب فى ١٨ من نفس الشهر وكذلك اليونان ف ٢٠ أكتوبر. أنظر: الوثائق العثمانية: المجموعة الأولى، ترجمة: محمد الأسطى، إعداد: خليفة محمد الذويبى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٠م، ظرف ١/٤، ص ٤١١، ٤١٢.

للنقاش[١]. وهكذا عجلت هذه الأحداث إلى الإتفاق على الصيغة النهائية لشروط الصلح، وتم التوقيع عليها خلال ١٥ أكتوبر ١٩١٢م، فى أوشى لوزان بسويسرا والتزم فيه الجانبان بالاحتفاظ ببنود الإتفاق سراً إلى حين عقد الصلح بصفة رسمية[٢]. وفى ١٨ أكتوبر ١٩١٢م، تم التوقيع على الصلح رسمياً بين الحكومتين العثمانية والإيطالية، ونشرت بنودها على الملأ [٣].

رابعاً: تأثير صلح أوشى لوزان على جهاد سليمان البارونى:

كان نبأ توقيع معاهدة لوزان بين إيطاليا والدولة العثمانية مفاجأة صعبة لسليمان البارونى والمجاهدين فى الجبهة الغربية، خاصة وأن ذلك الصلح تم فى وقت كان فيه أولئك المجاهدون يضيقون الحصار على العدو ويزدادون حماساً للقتال يوماً بعد يوم[٤]، والأكثر من ذلك أن زعماء البلاد لم يكونوا طرفاً فى الإتفاق ولم يؤخذ رأيهم فى الموضوع، ولم تتح لهم فرصة المشاركة فى تقرير مصير بلادهم، الأمر الذى أثر فى نفوسهم بشدة حيث استاء المجاهدون كثيراً من ذلك التغير الجذرى فى موقف الدولة العثمانية[٥]، ومما زاد من دهشتهم أيضا أن الاستقلال الذاتى الذى منحه السلطان العثمانى لأهل البلاد جاء متناقضاً مع واقع الأمر، إذ أن السلطات الإيطالية كانت تحتل المناطق الساحلية وسعت للتوغل فى

(١) مصطفى حامد رحومة: الأبعاد السياسية لمعاهدة أوشى لوزان ١٩١٢م، المرجع السابق، ص ٢٥.
(٢) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس، المصدر السابق، ص ١٥١،١٥٢.
(٣) محمد عبد الكريم الوافى: الطريق إلى لوزان الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الإيطالى لليبيا، دار الفرجانى، طرابلس، ١٩٧٧م، ص ٢٠٧-٢١٦، كما ورد نص المعاهدة كاملة فى الوثائق الإيطالية: المجموعة الثانية، ترجمة: ناصر أدهم المنتصر، إعداد: محمد عبد السلام الجفائرى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٩م.، ص ٥٧٤-٥٧٨؛ الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ١٤٦-١٥٠.
(٤) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ١٥٨.
(٥) إدريس صالح الحرير: الاستعمار الإيطالى فى ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٤م، ص ١٥٨.

المناطق الداخلية، ومن هنا لم يكن باستطاعة الأهالى جنى ثمار ذلك الاستقلال المزعوم الذى اتخذته الدولة العثمانية كمبرر للتخلى عن القضية الليبية(١).

على أن توقيع الدولة العثمانية معاهدة الصلح واعترافها بالسيطرة الإيطالية على ليبيا أدى إلى إنشقاق التحالف الذى كان يربط المجاهدين الليبيين والعثمانيين، حيث رفض المجاهدون بزعامة سليمان البارونى فى الجبهة الغربية من ليبيا الصلح جملة وتفصيلا، وأعلن أنه لن يجعل الولاية موطن أمان للإيطاليين، وذكر أن المجاهدين الطرابلسيين مستعدون لمواصلة الجهاد مهما كلف الأمر ذوداً عن الدين والوطن، وأنهم سيستمرون فى الجهاد المقدس ضد الاحتلال الإيطالى الصليبى حتى بعد خروج العثمانيين، وتخلى الخليفة عنهم(٢). كما اعتبر قادة المقاومة الوطنية انسحاب الدولة العثمانية المفاجئ من الميدان بمثابة الخيانة لهم، حيث تسبب سحب القوات العثمانية فى إحداث مشاكل كبيرة بالنسبة للوضع السياسى والعسكرى فى البلاد كان من أهمها:

- أولاً: ترتب على اتفاقية لوزان آثار سلبية على حركة الجهاد فى ليبيا، وقد انعكست تلك الآثار بشكل واضح على الوضع السياسى والعسكرى فى البلاد، وأحدثت ارتباكات خطيرة فى حركة المقاومة، خاصة فى الجبهة الغربية، فبموجب البندين الأول والثانى للاتفاقية كان على الدولة العثمانية إنهاء حالة الحرب، ضد إيطاليا وسحب جميع قواتها العسكرية وجهاز حكومتها الإدارى من ليبيا، ومن ثم أفسحت المجال أمام السلطات الإيطالية لتفرض سيطرتها على البلاد، وبالفعل بعد أن تم التوقيع على المعاهدة بادرت الدولة العثمانية، امتثالا لنصوص الاتفاقية، بإصدار أوامرها إلى قواتها العسكرية فى طرابلس الغرب وبرقة بإيقاف القتال والمبادرة بالرجوع الفورى إلى الدولة العثمانية(٣).

(١) عبد الله على إبراهيم: آثار صلح لوزان على حركة الجهاد الليبى، ضمن كتاب دراسات وبحوث فى التاريخ الليبى، المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ١٤١.

(٣) عبد الله على إبراهيم : آثار صلح لوزان على حركة الجهاد الليبى، ضمن كتاب دراسات وبحوث فى التاريخ الليبى ١٩١١-١٩٤٣م، المرجع السابق، ص ١٠٢؛ خليل الساحلى: ومضات من الوثائق العثمانية، مجلة الشهيد، العدد الثالث، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٣م، ص ٢٤٦.

- **ثانياً: انقطاع الإمدادات العسكرية والمؤن التى كانت ترد من الحكومة المركزية فى اسطنبول، حيث كان المجاهدون يعتمدون عليها بشكل كبير، وهذا ما سيعانى منه البارونى عند توفير التموين لحكومته الجديدة بيفرن بالجبل الغربى .**
- **ثالثاً: حدوث نقص فى عدد المحاربين، خاصة الجنود والضباط العثمانيين المدربين الذين لعبوا أدواراً لا بأس بها فى المعارك الأولى التى جرت على طول الساحل الطرابلسى، الأمر الذى أثر فى قوة المجاهدين وأضعف إلى حد ما من روحهم المعنوية، إذ أن خوض المعارك ضد العدو كان يستمد قوته المعنوية من وجود قوات المجاهدين وقوات العثمانيين فى صف واحد.**
- **رابعاً: حرمت المقاومة الوطنية من أى تعاطف أوروبى رسمى، حيث التزمت الدول الأوروبية بحق الإيطاليين فى ليبيا بمجرد إعلان بنود هذا الصلح، ووقفت على الحياد.**
- **خامساً: شجع بعض الزعامات الوطنية إلى القبول بالأمر الواقع والبحث عن المكاسب الشخصية وقد مال بعضهم إلى الإيطاليين بسبب اليأس والإحباط.**
- **سادساً: خروج العثمانيين من ليبيا فى تلك الظروف الحرجة أحدث فراغاً سياسياً كبيراً فى البلاد، وفتح المجال أمام ظهور وتعدد الزعامات المحلية مما أدى إلى حدوث تصدع فى الجبهة الداخلية، لا سيما فى المنطقة الغربية من ليبيا (١).**

وهكذا نلاحظ أن خروج الدولة العثمانية وترك المجاهدين وحدهم، وضع البارونى ومجاهديه فى موقف محرج، فكان عليهم أن يتداركوا هذا الموقف ويتخذوا قراراً حاسماً بشأن تقرير مصير بلادهم، وأن يتبعوا أسلوباً جديداً يمكنهم من الابقاء على استمرارية المقاومة، وهذا ما فعله المجاهد سليمان البارونى .

(١) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ١٥٧؛ عبد الله على إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٠٣،١٠٤؛ مصطفى حامد رحومة: النشاط السياسى الأوروبى وانعكاساته على حركة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، المرجع السابق، ص ٧٣.

خامساً: موقف سليمان البارونى من مؤتمر العزيزية ٢٥ أكتوبر ١٩١٢م ونتائجه:

فى أعقاب التوقيع على معاهدة أوشى لوزان بين الدولة العثمانية وإيطاليا فى ١٨ أكتوبر ١٩١٢م بمدينة لوزان بسويسرا ووضعها موضع التنفيذ دعا كل من نشأت بك وسليمان البارونى ومحمد فرحات ورؤساء القبائل والمجاهدين إلى اجتماع فكان مؤتمر العزيزية لمواجهة الأوضاع الناجمة عن توقيع هذه المعاهدة، وانسحاب القوات العثمانية من ليبيا، والتشاور فيما بينهم فى مصير البلاد التى أصبحت خاضعة لإيطاليا بمقتضى معاهدة الصلح، واتخاذ قرار بشأن تنظيم ومواصلة المقاومة وحركة الجهاد بعد انسحاب القوات العثمانية المفاجئ من الحرب، ثم التفكير فيما يمكن عمله فى المستقبل(١).

وقد وجهت الدعوة إلى كافة الزعماء والأعيان من قبل سليمان البارونى ومحمد فرحات الزاوى وكان نصها ما يلى" بموجب الأمر الواصل من نظارة الحربية العثمانية فى ٧ تشرين الثانى (أكتوبر) ١٩١٢م، والمقرون بالإدارة السلطانية لإنهاء الحرب مع إيطاليا لانعقاد الصلح الذى صار تبليغه وتعميمه، وكنتيجة لما سيعقب هذه التبليغات، وما سيحصل بالطبع فى حاضرنا من الخلل والتحولات الماسة بالمصالح العامة تأميناً لراحة الأهالى وحمايتها من ذلك ندعو أعيان وأشراف البلاد للعزيزية اليوم لعقد اجتماع تقرر فيه الأراء فى صورة عامة وتطبق فيه الترتيبات"(٢).

كان المؤتمر اجتماعاً عموميا حضره لفيف الأعيان وقادة الجهاد المحليين وعلماء ووجهاء ومشايخ من شتى أنحاء المنطقة الغربية للولاية، وفى " ظهرة سيدى رمضان" بالعزيزية يوم الجمعة ١٤ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/ الموافق ٢٥ أكتوبر ١٩١٢م عقد المؤتمر وكان أبزر حضوره من جانب قادة المجاهدين وأعيان طرابلس كل من : (سليمان البارونى زعيم المجاهدين فى الجبل الغربى وممثل مجلس المبعوثان العثمانى عن موطنه بطرابلس الغرب، ومحمد فرحات

(١) المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس: شعبة الوثائق والمخطوطات، قسم الوثائق العربية، مذكرات محمد نورى السعداوى، ص ٩٩؛ الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٢) سليمان البارونى: صفحات خالدة من الجهاد، المصدر السابق، ص ٢٤٣.

بك الزاوى، والهادى كعبار قائم مقام غريان،ومختار كعبار، وأحمد المريض قائممقام ترهونة، والصغير المريض، وعلى بن تنتوش قائم مقام العزيزية، وعبد الله بوخريص، ومفتاح التركى ممثل مسلاته، ومحمد الترجمان ممثل الخمس، وأحمد بن سنان ممثل الخمس، ومحمد نورى السعداوى ممثل قضاء الخمس، ومحمد عزيز قائم مقام زليتن مصطحباً معه عدداً من أهل زليتن، والطاهر البشتى مفتى الزاوية، ومحمد بك شلابى قائم مقام الزاوية، ومحمد عبد الله البوسيفى ممثل أولا بوسيف، ومحمد سوف المحمودى قائم مقام الجفارة، ومحمد فكين ممثل الرجبان، وعمر المنصورى،وأحمد السنى، وأحمد بدوى الأزهرى قائم مقام الزنتان، وغيرهم من زعماء وأعيان طرابلس[١].

ومن جانب الدولة العثمانية حضر نشأت بك قائد القوات العثمانية وأركان حربه، وكبار معاونيه من الضباط العثمانيين منهم فتحى بك قائد القوات العثمانية فى العزيزية، وخليل باشا قائد القوات العثمانية فى مدينة الخمس، واسحاق باشا قائد القوات العثمانية فى مصراته ويذكر خليفة خالد فى مذكراته" أن مؤتمر العزيزية كان يوما مشهوداً حيث اجتمع زعماء وأعيان البلاد، وعند الاجتماع توجه لهم اسحاق باشا مع كافة الضباط وأركان حربه، وأنه كان ترجماناً بينهم، وأبلغهم حزنه على صورة إبرام الصلح، وقال إن الحكومة الإيطالية شنت علينا الحرب وهاجمتنا فى عقر دارنا، وقد أجبرت حكومتنا على قبول الصلح مهما كان قاسياً، واليوم ومنذ هذه الدقيقة، وبصفتكم أحراراً مستقلين يجب أن تديروا شئونكم بأنفسكم والله فى عونكم لما فيه الخير لهذا البلد العزيز، فتمنوا له كل خير"[٢] ويضيف خليفة خالد:ثم خرج إسحاق باشا من قاعة الاجتماع ولما هممت بالخروج معه أمرنى بالبقاء حتى ابلغه نتيجة القرار الذى هم متخذونه.

(١) عن أسماء الحاضرين وعددهم أنظر: محمد صالح الجابرى، المرجع السابق، ص ٥١٨، من خلال تقارير مراسل صحفية الزهرة التونسية الذى حضر مؤتمر العزيزية، ونشره فى العدد ١٠ نوفمبر ١٩١٢م؛ حبيب وداعه الحسناوى: مؤتمر العزيزية ونتائجه على حركة الجهاد فى ليبيا ٢٥ أكتوبر ١٩١٢م، مجلة آفاق تاريخية، السنة الأولى، العدد الأول، منشورات الجمعية التاريخية الليبية، طرابلس، ١٩٩٦م، ص ٤٩؛ عبد الله على إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٢) خليفة خالد: مذكرات خليفة خالد: مجلة الأفكار، العدد السابع، السنة الأولى، منشورات الجمعية الليبية التركية للصداقة، طرابلس، يوليو ١٩٥٦م، ص ١٢، ١٣.

كما أن حضور الجانب العثمانى للمؤتمر كان يتعلق بمهمة تسليم الأمور لقادة الجهاد وتنسيق عملية سحب الجنود والموظفين العثمانيين من البلاد [١]. وقد قدر عدد الذين حضروا مؤتمر العزيزية بخمسمائة شخص[٢].

بدأ الحاضرون اجتماعهم، واستمرالمؤتمر لمدة ثلاثة أيام، وافتتحت جلساته بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ثم توالى الزعماء والقادة للإبداء بآرائهم فتكلم محمد فرحات الزاوى ثم الشيخ عبد الله بوخريص ثم الطاهر البشتى مفتى الزاوية، ثم الطيب البشتى، وقرروا جميعهم عدم إمكان المدافعة ووجوب التسليم، وحرم المفتى الدفاع، إلا أن سليمان البارونى عارض هذا القرار وأقر بوجوب الدفاع والجهاد[٣]، واستمر الاجتماع واخذ المجتمعون يتبادلون الآراء، وتداولوا فى الموضوع طويلاً وخاضوا فى رأيهم كثيراً، وطرحت أثناء ذلك الآراء ووجهات النظر المختلفة. غير أن مؤتمر العزيزية لم يسفر عن قرار إيجابى وقوى يتفق عليه المجتمعون، على الرغم أن معظم الزعماء اتفقوا مبدئياً على مطالبة الإيطاليين بالاعتراف باستقلالهم الذى منحه إليهم السلطان العثمانى، إلا أنه سرعان ما دب الخلاف بين أعضاء المؤتمر وانقسم الزعماء المحليون على أنفسهم واختلفوا فى كيفية تحقيق هذا الاستقلال سلماً أم حرباً فظهر فريقان فى المنطقة الغربية كل فريق نظر إلى القضية من رؤية تختلف عن الآخر[٤].

ونتيجة لما سبق حدث انقسام خطير أثناء عقد مؤتمر العزيزية الموسع وانقسم معسكر المجاهدين إلى جناحين، تزعم الجناح الأول محمد فرحات الزاوى معارضاً سليمان البارونى وكان مستعدا للخضوع للايطاليين، وكان يفضل الاستسلام والدخول فى مفاوضات مع العدو وترك المقاومة، من أجل المطالب الوطنية وتحقيق فكرة الاستقلال الذاتى التى وردت فى مرسوم السلطان العثمانى بالطرق السلمية، وكان إلى جانب محمد فرحات الزاوى، الهادى كعبار، ومختار

(١) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ١٦٠؛ عبد الله على إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٠٤.
(٢) محمد صالح الجابرى: المرجع السابق، ص ٥١٨، ٥١٩.
(٣) سليمان البارونى: صفحات خالدة من الجهاد، المصدر السابق، ص ٣٥٢.
(٤) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ١٦١؛ أحمد زارم: المصدر السابق، ص ١٨.

كعبار، وأحمد المريض، وعلى بن تنتوش،وبعض أعيان ومشايخ قبائل الزاوية، وترهونة، ورشفانة، وغريان، إلا أن سليمان الباروني يذكر أن مجاهدين من سكان هذه المناطق قد أرسلوا إلى أعيانهم ومشايخهم رسائل تهديد على ما قاموا به من إجراء المفاوضات المباشرة مع الإيطاليين(١). وقد انتهج هذا الفريق مبدأ التفاوض لإقناع الأعضاء بقلة الإمكانيات العسكرية والمادية، وإن ما لديهم من العتاد الحربى لا يكفى لمقاومة دولة مثل إيطاليا، خاصة بعد نقص الإمدادات التى كانت توفرها الحكومة العثمانية وعدم انتظام المعونات الأخرى التى كانت تأتى من البلدان العربية والإسلامية، فضلاً عن التضامن السياسي بين إيطاليا وسائر الدول الأوروبية ضد استمرار حركة الجهاد فى ليبيا، فإيطاليا كانت تحصلت على موافقة مسبقة فى احتلال ليبيا خصوصاً وأن الدول الأوروبية كانت تسعى إلى إضعاف الدولة العثمانية لأجل اقتطاع أجزاء مهمة من أملاكها الواسعة فى أوروبا الشرقية، وأسيا، وأفريقيا بحيث أصبح من المتعذر الحصول على العون الخارجى فى هذه الأيام سواء فى المجال السياسى أو العسكرى أو الإقتصادى لاعتراف الدول الأوروبية باحتلال إيطاليا للأراضى الليبية عقب التوقيع على صلح أوشى لوزان، حينما اعترفت كل من فرنسا والنمسا والمجر وإنجلترا وألمانيا لإيطاليا فى ١٩ أكتوبر ١٩١٢م بحقيقة ضم طرابلس وبرقة، وعليه يجب قبول الأمر الواقع على أساس الاعتراف بالسيادة الإيطالية على ليبيا ثم مطالبة الحكومة الإيطالية للاعتراف بحقوق الليبيين فى بناء دولتهم(٢).

أما االجناح الثانى: فكان يتزعمه سليمان الباروني الذى كان يقود الفريق الرافض للمفاوضات مع العدو وفضلوا الاستمرار فى الكفاح مهما كلفهم الثمن إلا إذا اعترفت إيطاليا باستقلال البلاد حسبما جاء فى مرسوم السلطان العثمانى، ولكنهم كانوا على يقين بأن الإيطاليين لم يأتوا إلا من أجل فرض سيطرتهم الكاملة على ليبيا وسلب حرية شعبها واستغلال خيراتها، وبناء على ذلك فإنه لا يمكن التوصل إلى أى اتفاق أو تفاهم معهم إلا إذا كان ذلك يخدم أهدافهم الاستعمارية، وكان إلى جانب سليمان الباروني، محمد عبد الله البوسيفى،

(١) سليمان الباروني: صفحات خالدة من الجهاد، المصدر السابق، ص ٢٤٩.
(٢) محمد إمحمد الطوير: الشيخ فرحات الزاوى أحد قادة الجهاد الليبى ضد الغزاة الإيطاليين، ط ٢، مطابع الوحدة العربية، طرابلس، ٢٠٠٣م، ص ٨٠، ٨١.

والشيخ سوف المحمودى، وأحمد محمد السنى، وأحمد البدوى الأزهرى، فضلا عن كل الزعامات والقبائل التى تقع غربى غريان، والجبل الغربى، والصيعان، والنوائل، وزاورة، والعلالقة، والمحاميد، وصرمان، والحرارات،" غربى الزاوية"، والقديرات، وقد مثل هؤلاء الزعماء العناصر البارزة فى المناطق الداخلية، والجبلية، وجهات أخرى(١)، وقد أيدهم فى ذلك الرفض القائد العثمانى نشأت بك(٢) . وكان هؤلاء على يقين أن الاستقلال الحقيقى لا يمكن أن يؤخذ إلا بقوة السلاح، وهذا ما حاول سليمان البارونى إقناع المجتمعين به فى جلسة المؤتمر التى قرروا فيها انتخاب وفد للمفاوضة مع الطليان، بقوله" نحن على يقين من أن الإيطاليين مصممون على استعمار البلاد دون قيد أو شرط، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يتراجعوا عن تصميمهم هذا إلا إذا استمرينا فى محاربتهم(٣).

سادساً: إعلان البارونى الحكومة الوطنية المستقلة فى يفرن بالجبل الغربى برئاسته، وقيادته لحركة المقاومة الشعبية المسلحة فى الجبل الغربى.

انتقل سليمان البارونى ومن معه من الزعماء الوطنيين إلى مدن الجبل الغربى، وأسسوا مقراً لهم فى مدينة الرابطة بغريان، ومقراً أخر فى مدينة الواطية أمام زوارة،، وشرع البارونى فى تأسيس حكومة وطنية مستقلة فى يفرن بالجبل الغربى لاستمرار المقاومة ضد الايطاليين، حتى تذعن إيطاليا

(١) المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس: شعبة الوثائق والمحفوظات، قسم الوثائق العربية، ملف سليمان البارونى رقم (٩)، وثيقة رقم (٦٠) ؛ الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ١٦٠؛ عبد الله على إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٠٥، ١٠٦، ١٦٠.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ١٦٠، ١٦١؛ على البوصيرى على: المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالى فى الجزء الغربى من ليبيا أكتوبر ١٩١٣م- أغسطس ١٩١٤م، ط ١، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٨م، ص ١٥؛ عبد الله على إبراهيم: المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٣) سليمان البارونى: صفحات خالدة من الجهاد، المصدر السابق، ص ٢٤٥.

لمطالبهم وتمنحهم الاستقلال الذى منح لهم من قبل السلطان العثمانى محمد رشاد الخامس[١].

وقد تأسست هذه الحكومة عقب مؤتمر العزيزية المنعقد فى ١٤ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٩١٢م، واستند زعماء المجاهدين إلى الفرمان السلطانى العثمانى الذى منح الليبيين بموجب معاهدة أوشى لوزان الاستقلال، وقد وقع المجاهدون على وثيقة تشكيل الحكومة وانتخاب سليمان الباروني رئيساً لها وهذا نصها: "بسم الله الرحمن الرحيم: بناء على الفرمان المؤرخ فى ذى القعدة المحرم سنة ١٣٣٠هـ القاضى بمنح بلادنا الاستقلال قد اتفقنا على الرضاء به وقبوله مع السرور الكامل وكلفنا حضرة مبعوث الجبل سليمان بك الباروني بإعلان استقلالنا وتبليغه إلى من يلزم التبليغ إليه وتشكيل حكومة تقوم بما يلزم اتخاذه من نعيم الأمن والراحة والمحافظة على شرف الدين والوطن بموجب قواعد الشرع الشريف والمنظمات العمرانية مع القيام بكل ما يجب اتخاذه من وسائل الدفاع والتوفيق من الله والنصر بيده، ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٣٠هـ(٣١ أكتوبر ١٩١٢م) . مديرية الحرابة(أختام) قضاء نالوت-خليفة عسكر، قائم مقام ورفلة عبد النبى بالخير، مديرية كلكلة(أختام) مديرية الخوض (أختام) قضاء نجاد (أختام) مديرية الرجبات (أختام) فسطو (أختام) مديرية الزنتان (أختام) مديرية كاباو (أختام) وهذه الأخيرة هى مسقط رأس ومنبت الزعماء الأجلاء والعلماء الأفاضل وحفظة القرآن الكريم عمرها الله"[٢].

وكان تأسيس هذه الحكومة يعد مؤشراً مهما فى تاريخ ليبيا الحديث؛ إذ لأول مرة ومنذ قرابة أربعة قرون من الزمن تظهر على الساحة الطرابلسية حكومة وطنية يشرف على إدارتها عنصر وطنى صرف، وقد تم انتقال هذا الفريق بزعامة سليمان الباروني إلى يفرن بالجبل الغربى مقر الحكومة الوطنية الجديد، وتلا ذلك الإعلان عن تشكيل المجلس الشرعى ؛ معلناً عن تشكيل أعضاء الحكومه الوطنية بيفرن بالجبل الغربى وهم : سليمان الباروني، والشيخ محمد

(١) نفس المصدر السابق، ص ٤٦٤-٤٦٧؛ على البوصيرى على: المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالى فى الجزء الغربى من ليبيا أكتوبر ١٩١٣م-أغسطس ١٩١٤م، المرجع السابق، ص ٢٨-٤٩.

(٢) أبو القاسم الباروني: المصدر السابق، ص ٤٦.

سوف المحمودى، وأحمد السنى، والشيخ أحمد البدوى الأزهرى، ووقع هؤلاء على منشور بهذا الخصوص فى الثانى من نوفمبر ١٩١٢م يعلنون فيه الاستقلال واتخاذهم الجانب القتالى لتحقيق النصر ضد القوة الإيطالية، جاء فيه" لأجل المحافظة على الدين والوطن والاستقلال الذى تفضل علينا به مولانا السلطان قد اتفقنا اتفاقاً جازماً على دوام المدافعة، وعينا خطة جديدة للحرب والمهمة مبذولة فى تدارك ما يلزم من الأرزاق والنقود مستمدين من الله التوفيق والإعانة، فالمرجو الاعتناء بالمحافظة على الأمن والاتحاد، ورد الجواب عن الفكر العام بطرفكم "٢٢ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/ الموافق ٢ نوفمبر ١٩١٢م[١].

والجدير بالذكر أنه فى ٣٠ نوفمبر ١٩١٢م وجّه المجاهد عزيز المصرى المرابط بجبهات القتال ببرقة رسالة إلى سليمان البارونى بالجبل الغربى دعاه فيها إلى مواصلة الكفاح وعدم التسليم مؤكداً على أن بثبات المجاهدين ينالون عطف الأمم الإسلامية[٢].

وسعى سليمان البارونى لنيل اعتراف حكومات بعض الدول الأوروبية الكبرى مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا وإيطاليا بذلك الاستقلال[٣].

وبعد أن انتهى سليمان البارونى من العمل الداخلى "تنظيم الأمور الإدارية والاقتصادية والعسكرية الداخلية"، وبعد فشله فى كسب المفاوضات والتنظيم الخارجى الممثل فى العمل السياسى والدبلوماسى للحكومة الوطنية، الذى لم يجد آذان صاغية له، وبعد فشله فى نيل اعتراف إيطاليا بهذه الحكومة اتجه وأعوانه إلى العمل العسكرى والذى لم يعد هناك أى مجال سوى حسم الموقف عن طريقه، واستمرت المعارك بين المجاهدين الليبيين والإيطاليين بزعامة سليمان البارونى، الذى استطاع بخبرته العسكرية تكوين جبهة لصد الزحف الإيطالى

(١) المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس: شعبة الوثائق والمخطوطات، قسم الوثائق العربية، ملف سليمان البارونى رقم (٩)، وثيقة رقم (٦٠)، بتاريخ ٢٢ ذى القعدة ١٣٣٠هـ/ ٢ نوفمبر ١٩١٢م.

(٢) أبو القاسم البارونى: المصدر السابق، ص ٥٧.

(٣) المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس: شعبة الوثائق والمخطوطات، قسم الوثائق العربية، ملف سليمان البارونى رقم (٩)، وثيقة رقم(٧٨)، برقيات طلب الاعتراف بالاستقلال من سليمان البارونى إلى الدول الأوروبية الكبرى، ترجمة: محمد الأسطى، تاريخ الوثيقة ١٧ محرم ١٣٣١هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٩١٢م.

نحو الجبل الغربى والقبلة والجنوب فعمل الإيطاليون على استدراج المجاهدين بالطرق السلمية ولكنهم لم يفلحوا فحشدوا كافة قواتهم وهاجموا المجاهدين فى معركة الأصابعة الشهيرة بمعركة جندوبة فى ٢٣ مارس ١٩١٣م، ورغم المقاومة الباسلة التى أبداها المجاهدون بقيادة الباروني إلا أن الغلبة كانت للقوات الإيطالية بحكم تفوقها فى العدد والعتاد الحربى، وتمكن الإيطاليون إثر هذه المعركة من السيطرة على الجبل الغربى فدخلت قواتهم يفرن فى ٢٧ مارس ١٩١٣م، والزنتان يوم ٥ أبريل ١٩١٣م، وجادو ٦ أبريل، والجوش ١٠ أبريل، وتيجى ١١ أبريل، ونالوت يوم ١٣ أبريل، ولم ينته شهر أبريل حتى كانت القوات الإيطالية قد وصلت إلى غدامس حيث احتلتها يوم ٢٧ أبريل ١٩١٣م[١].

سابعاً: هجرة سليمان الباروني إلى تونس ثم تركيا وملابساتها فى ١٩١٣م:

وسبق أن ذكرنا أن إيطاليا أرسلت وفداً للتفاوض مع وفد سليمان الباروني، كما أشار الإيطاليون إلى أنهم يقبلون بالاعتراف باستقلال طرابلس الغرب داخلياً، إلا أنه بعد الانتصارات التى حققها الإيطاليون تغيرت أسس المفاوضات ووضعت قواعد جديدة تتضمن العفو عن المجاهدين والعودة إلى ديارهم والعيش تحت الحماية الإيطالية، الأمر الذى رفضه الباروني جملة وتفصيلاً، ونتيجة لذلك ضاع الأمل بإعلان استقلال طرابلس داخلياً[٢]، واضطر أمام الرغبة التى أبدتها السلطات الفرنسية بتونس وهى " بعد أن تسلمت السلطات الفرنسية جميع أسلحتهم خيرتهم بين أن تختار لهم الحكومة مكاناً يقيمون فيه مجتمعين أو

(١) الوثائق الأمريكية: المجموعة الثانية، إعداد: مصطفى حامد أرحومة، ترجمة: شمس الدين عرابى، منشورات مركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٩م، تقرير من الملحق العسكرى فى طرابلس حول زحف القوات الإيطالية على يفرن، مؤرخة فى أبريل ١٩١٣م، ص ٤٤٩؛ خليفة محمد التليسى: المرجع السابق، ص ١٠٨-١١٠.

(٢) الوثائق الإيطالية: المجموعة السادسة عشر، ترجمة: المهدى عمر التريكى، إعداد: نجمى رجب ضياف، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٣م، وثيقة رقم (٩٢) فى سنة ١٩١٣م؛ أمين سعيد: الدولة العربية المتحدة، ج ٢، مطابع عيسى البابلى الحلبى وشركاؤه، القاهرة، ١٩٣٦م، ص ٥٠٥؛ على البوصيرى على: التوغل الإيطالى فى الدواخل عقب صلح لوزان، ضمن بحوث ودراسات فى التاريخ الليبى ١٩١١-١٩٤٣م، المرجع السابق، ص١٢٨.

يختاروا لأنفسهم بلداً آخر يذهبون إليه"[١]، إلا أنه نصح اللاجئين الطرابلسين بالعودة إلى بلادهم، فرضى فريق منهم بالعودة إلى أوطانهم، أما سليمان البارونى فقد قرر مع بعض المناضلين الهجرة، وكان البارونى ممتناً لموقف فرنسا، حيث أنه كان يعلم أنها لو لم تسمح لهم باجتياز الحدود فإنهم سيواجهون أمراً عصيباً[٢] ، وفى هذا الصدد جاء قول البارونى واصفاً حالة المجاهدين كما يلى: " فلو لم تسمح لهم بالدخول فليس أمامهم سوى أمرين، إما أن يدخلوا تونس بقوة السلاح أو أنهم سيتصدون للقوات الإيطالية، التى كانت تلاحقهم وبذلك يكون أمامهم خيارين لا ثالث لهما أما الوقوع فى الأسر أو الفناء"[٣]، وكان بصحبته ٣٠٠٠ مجاهد مهاجر منهم الشيخ محمد سوف المحمودى، وسعد حلبودة، والشيخ ضوء العلاقى، وعلى كلة، ومن أعيان الجبل ساسى خزام ويوسف خربيش[٤]، فهاجر البعض إلى الشام منهم محمد سوف والبعض الآخر الباقى إلى تونس، أما سليمان البارونى فهاجر إلى تونس، ومكث مدة من الزمن فى أحوازها " برادس"، واستقل باخرة عثمانية من تونس إلى لندن، حيث أجرت معه مجلة " التمس الافريقية" مقابلة صحفية طويلة فى ١٤ من شوال ١٣٣١هـ/ الموافق ١٥ سبتمبر ١٩١٣م، أبان فيها عن موقفه من الجهاد الليبى، ودفع فيها عن نفسه التهم الباطلة التى روجها خصومه، وأشاعتها الجرائد والصحف المغرضة، ومما قاله البارونى لصاحب المجلة: " إن حكومة إيطاليا تحققت من نزاهتى وعفتى من زمن الحرب التركية فلم تتجاسر على مخاطبتى فى شأن الرشوة، لأنها لما أشارت إلى ذلك فى بعض مكاتبتها الأولى أجبتها بأننى أنا ورجالى لا نرضى إلا بالموافقة على الاستقلال الذى تفضل به علينا السلطان..." ثم قال : " إنى ما التجأت إلى تونس إلا بعد نفاد كل ما بيدى من لوزام الحرب...، ثم سلمت سلاحى إلى مأمورى فرنسا ليقبلوا دخولى للأراضى التونسية، ففى مقابلة أى شئ تعطينى إيطاليا أموالها؟ وبأى وسيلة

(١) أحمد زارم: مذكرات أحمد زارم، المصدر السابق، ص ١٩.
(٢) على البوصيرى على: المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالى فى الجزء الغربى من ليبيا أكتوبر ١٩١٣م- أغسطس ١٩١٤م، المرجع السابق، ص ٧١.
(٣) أبو القاسم البارونى: المصدر السابق، ص ٦١،٦٢.
(٤) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ١٧٥،١٧٦.

أطلب أنا منها المال حيث إنى لم أترك للصلح مجالاً، ودافعتها إلى أن أخذت منى البلاد بقوة المدافع وكثرة الجنود. ولو سأل مخابرو تلك الجرائد بعض رؤساء الحكومة الإيطالية لأخبروهم بأسماء الذين قبلوا الرشوة، ومدوا أيديهم الحقيرة مطأطئى رؤوسهم لتناول الرشوة ثمناً لشرفهم. أما أنا فلا يجدون إسمى إلا فى صدور الوقائع المشهورة، والهجوم الشديد فى الليل والنهار على الحصون والاستحكامات، من يوم الهجوم على الهانى إلى يوم دخول تونس"[١]، ويتضح من رده رد تلك التهم الباطلة، ويظهر أن اقامته فى بريطانيا لم تطل، إذ سرعان ما سافر إلى الأستانة، أواخر عام ١٩١٣م، فأنزله العثمانيون على الرحب والسعة وقدروا جهاده وتضحياته حق قدرها فمنحه السلطان العثمانى محمد الخامس لقب باشا وعينه عضواً فى مجلس الأعيان (الشيوخ) مدى الحياة[٢].

ورغم هزيمة المجاهدين فى معركة جندوبة بالجبل الغربى عام ١٩١٣م فقد وقف البارونى تجاه تلك الأحداث وقفة عظيمة سجلها له التاريخ، فقد أشاد غراسيانى بدور البربر فى المعركة قائلاً: " وقد حارب البربر ضدنا أثناء احتلالنا لمستعمرة ليبيا.. . وكان قتالهم ضدنا عنيفاً بقيادة سليمان البارونى"[٣]. كما أثنى عليه المنصفون من الكتاب والمؤرخين، يقول اليوزباشى محمد إبراهيم لطفى- أحد الضباط الذين ساهموا فى الكفاح الليبي" وإن المرء ليدهشه فى سليمان باشا قوة احتماله للمكاره، وصبره على الشدائد، حتى أنه فى سنة ١٩١٣م عندما قام بتأسيس الحكومة الوطنية فى طرابلس الغرب، بعد صلح الدولة العثمانية وإيطاليا المعروف، لم تترك إيطاليا وسيلة إلا استعملتها ضده، فمن السعى إلى تأليب بعض القبائل ضده، إلى اجتذاب بعض ضعاف النفوس من

(١) المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية: شعبة الوثائق والمخطوطات، قسم الوثائق العربية، ملف سليمان البارونى رقم (٩)، وثيقة رقم (٨٥)، نبذة عن تغلل إيطاليا بقلم سليمان البارونى مؤرخة فى عام ١٩٣٨م؛ الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص١٧٩، ١٨٠.

(٢) الطاهر أحمد الزاوى: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، المصدر السابق، ص ١٨٠؛ أبو القاسم البارونى: المصدر السابق، ص ٥٥؛ عفاف أحمد الباشا: المرجع السابق، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٣) أحمد عطية مدلل:الموقف الوطنى وأثره فى عملية التقهقر الإيطالى، ضمن كتاب بحوث ودراسات فى التاريخ الليبيى ١٩١١-١٩٤٣م، المرجع السابق، ص١٥٦، ١٥٧.

الزعماء إلى ناحيتها، إلى حمل فرنسا على منع القوافل التجارية من تونس إلى طرابلس، كل هذا وسليمان البارونى يعمل على تذليل تلك العقبات، ومحاربة العدو كلما سنحت له فرصة للهجوم من أى ناحيه، حتى يئس العدو من الانتصار عليه بالحيلة أو القوة[١]. والحق أنه بمضى الأيام، وبازدياد حدة تلك المكائد، واستحكام الحلقات من إيطاليا ومن عملائها، وبالضعف الذى منيت به حركة المقاومة، توصل الإيطاليون إلى تحقيق أهدافهم فى كسر شوكة أنصاره وأعضائه، وتغلبوا على المجاهدين فى معركة جندوبة ١٩١٣م، كما رأينا.

الخاتمة:

وفى ضوء دراستنا لدور سليمان البارونى فى مقاومة الغزو الإيطالى فى ليبيا خلال الفترة ما بين ١٩٠٧-١٩١٣م نخلص إلى أن سليمان البارونى يعد أحد الشخصيات الليبية الهامة، التى ولجت ميدان السياسة الليبية فى فترة تعد من أهم الفترات فى تاريخ ليبيا الحديث، فقد هيأت نشأته الاجتماعية، ودراسته، خاصة أثناء وجوده فى مصر، المجال للعمل السياسى والاتصال برجال الحزب الوطنى وزعيمه مصطفى كامل ومحمد فريد من بعده، والعديد من المثقفين والشعراء، فاشترك فى كثير من المؤتمرات، والأنشطة الوطنية خلال تلك الفترة، كما قام بطبع العديد من الكتب الهامة فى مطبعته التى أنشأها فى مصر سنة ١٩٠٧م، فكان أول ليبى ينشئ مطبعة خارج وطنه. وأصدر فى مصر جريدة بعنوان " جريدة الأسد الإسلامى" ١٩٠٧م، وتبنى فيها مشروع فكرة الجامعة الإسلامية، ودعوته للحوار بين مختلف المذاهب الإسلامية للإلتقاء فى منتصف الطريق والتعاون فيما اتفقوا فيه من الأصول الكبرى والتحلى بأدب الخلاف فيما اختلفوا فيه من الفروع.

عندما قامت القوات الإيطالية بغزو ليبيا فى ٥ أكتوبر ١٩١١م، هب سليمان البارونى فى مقدمة المجاهدين مع بنى وطنه بالجبل الغربى وبمساعدة القوات التركية التصدى للغزاة، من خلال مشاركته الفعَّالة فى معارك الدفاع عن طرابلس والجبل الغربى، وصار من أكبر دعاة الجهاد تحمساً ومن أكثر المشاركين فى مراحل القتال ضد الإيطاليين.

(١) نقلا عن أبو القاسم البارونى: المصدر السابق، ص ٣٢.

كان ظهور سليمان الباروني في وقت كانت البلاد تفتقر إلى زعيم مثله، وبحاجة تجمع شملها تحت راية واحدة، حيث تم انعقاد مؤتمر العزيزية ٢٥ أكتوبر ١٩١٢م كنتيجة للوضع التي كانت عليه البلاد بعد انسحاب القوات العثمانية من ليبيا إثر توقيع معاهدة أوشي لوزان ١٨ أكتوبر ١٩١٢م التي كانت مفاجأة بالنسبة للمجاهدين ولقادة الجهاد في ليبيا بزعامة الباروني، فكان أول الرافضين لهذه الإتفاقية وأول المدعوين إلى عقد المؤتمر، إلا أن انقسام الزعماء وقادة الجهاد في المؤتمر وعدم اتفاقهم في الرأي حول الاستمرار في الجهاد، أو المفاوضات مع إيطاليا لتحقيق الاستقلال الذاتي الذي منحهم إياه السلطان محمد الخامس، كان له أثر سيئ على حركة الجهاد والوقوف في وجه المحتل فانقسم زعماء الجهاد إلى قسمين، قسم رضي بالاستسلام والمفاوضات مع إيطاليا بالطرق السلمية بزعامة فرحات الزاوي، وقسم صمم على الجهاد في المناطق الغربية والجنوبية كطريقة لتحقيق الاستقلال الكامل للبلاد بزعامة الباروني، وأعلن عن تشكيل حكومة وطنية مستقلة في يفرن بالجبل الغربي برئاسته في نوفمبر ١٩١٢م، وتمكن الإيطاليون من احتلال المناطق التي رضي قادتها بالمفاوضات بدون قتال، وتمكنوا من احتلال باقي المناطق لقلة المؤن والسلاح حيث لم يتمكن القسم الآخر من الصمود طويلاً لتفوق الإيطاليين.

أن إستراتيجية الجهاد عند سليمان الباروني تعتمد على وجهي الجهاد وهما الحرب والسياسة، فعندما قام الباروني بتأسيس حكومة وطنية مستقلة برئاسته في يفرن بالجبل الغربي، عمل على ترتيب أوضاعها الإدارية والاقتصادية والعسكرية تمهيداً لاستمرار المقاومة الليبية في طرابلس وطرد قوات الاحتلال الإيطالي منها.

وهكذا تجلت وطنية سليمان الباروني في أبرز معانيها بمشاركته الفعالة في مقاومة المحتل الإيطالي بالسلاح عندما دعا الداعي للجهاد.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً الوثائق:

الوثائق الغير المنشورة:

وثائق المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، قسم الوثائق العربية.

١- ملف سليمان البارونى رقم (٩)، المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، قسم الوثائق العربية.

٢- مذكرات محمد نورى السعداوى، المركز الوطنى للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، قسم الوثائق العربية

الوثائق المنشورة:

الوثائق العربية والمعربة المنشورة:

١-الوثائق الإيطالية.

- الوثائق الإيطالية: المجموعة الثانية، ترجمة: ناصر أدهم المنتصر، إعداد: محمد عبد السلام الجفائرى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٩م.
- الوثائق الإيطالية: المجموعة السادسة عشر، ترجمة: المهدى عمرالتريكى، إعداد: نجمى رجب ضياف، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٣م.

٢-الوثائق الألمانية.

- الوثائق الألمانية: المجموعة الثامنة، الجزء الثانى، ترجمة: عمر لطفى العالم، إعداد وترتيب: مصطفى حامد رحومة، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٣م.

٣-الوثائق الأمريكية.

- الوثائق الأمريكية: المجموعة الأولى، ترجمة: شمس الدين عرابى بن عمران، إعداد: مصطفى حامد رحومة، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٩م.

- الوثائق الأمريكية: المجموعة الثانية، إعداد: مصطفى حامد أرحومة، ترجمة: شمس الدين عرابي، منشورات مركز جهاد الليبيين لدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٩م.

٤- الوثائق العثمانية.

- الوثائق العثمانية: المجموعة الأولى، ترجمة: محمد الأسطى، إعداد: خليفة محمد الذويبي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس١٩٩٠م.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية والمعربة:

١- أبو الربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، المطبعة السلفية، تونس، ١٣٦٤هـ/١٩٤٦م.

٢- أبو القاسم الباروني: حياة سليمان باشا الباروني، ط ٢، مطابع عيسى البابلي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٤٨م.

٣- أحمد زارم: مذكرات أحمد زارم، الدار العربية للنشر، ليبيا، تونس، ١٩٧٩م.

٤- أحمد عطية مدلل: المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها أغسطس ١٩١٤م- أبريل ١٩١٥م، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي: طرابلس، ١٩٨٩م.

٥- إدريس صالح الحرير: الاستعمار الإيطالي في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٤م.

٦- أمين سعيد: الدولة العربية المتحدة، ج ٢، مطابع عيسى البابلي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٣٦م.

٧- أورخان سعد الله كولوغلو: ليبيا والليبيون في مجالس النواب العثمانية، ترجمة: د. عبد الكريم عمر أبو شويرب، مراجعة: صلاح الدين حسن السوري، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠١٢م.

٨- أورخان قول أوغلو: مذكرات الضباط الأتراك حول معارك ليبيا، ترجمة: وجدي كدك، مراجعة: عماد حاتم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٧٦م.

٩- تاريخ القوات المسلحة التركية: الحرب العثمانية الإيطالية ١٩١١-١٩١٢م، ترجمة: محمد الأسطى، وعلى عزازى، مراجعة: نجم الدين زين العابدين، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ١٩٨٨م.

١٠- جورج ريمون: من داخل معسكرات الجهاد فى ليبيا: ترجمة: محمد عبد الكريم الوافى، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ١٩٧٩م.

١١- جى. أف. أبوت: الجهاد فى طرابلس، ترجمة: د. عبد القادر المحيشى، مراجعة: د. محمد عبد الوهاب سيد أحمد، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٠م.

١٢- ---------: الحرب المقدسة فى طرابلس الغرب، ترجمة: عبد الحفيظ الميار، دار الفرجانى، القاهرة، ١٩٩٣م.

١٣- خليفة محمد التليسى: معجم معارك الجهاد فى ليبيا ١٩١١-١٩٣١م، دار الثقافة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

١٤- خير الدين الزركلى: الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٣، ط ١٧، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٧م.

١٥- رفعت عبد العزيز سيد ومحمد إمحمد الطوير: تاريخ الجهاد فى ليبيا ضد الغزو الإيطالى ١٩١١-١٩٣١م، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٦- رومين راينيرو: معركة شارع الشط فى تاريخ الاحتلال الإيطالى لليبيا، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، يناير ١٩٨٧م.

١٧- زعيمة البارونى: سليمان البارونى تعريف موجز، دار لبنان، بيروت، ١٩٧٣م.

١٨- سليمان البارونى: صفحات خالدة من الجهاد،ج ١، عنيت بجمعها وترتيبها: زعيمة البارونى، مطابع الاستقلال الكبرى، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م.

١٩- ----------: ديوان البارونى، اعتنت به: زعيمة سليمان بن عبد الله البارونى، مراجعة: سلطان بن مبارك بن حمد الشيبانى، ط ١، مكتبة مسقط، مسقط، ٢٠١٢م.

٢٠- صلاح العقاد: ليبيا المعاصرة، المطبعة الحديثة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠م.
٢١- الطاهر أحمد الزاوى: أعلام ليبيا، ط ٣، دار المدار الإسلامى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.
٢٢- ----------: جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب، ط ٣، دار الفتح، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.
٢٣- عفاف أحمد الباشا: المؤرخون الليبيون فى القرن التاسع عشر، دار المدار الإسلامى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.
٢٤- على البوصيرى على: المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالى فى الجزء الغربى من ليبيا أكتوبر ١٩١٣م- أغسطس ١٩١٤م، ط ١، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٩٨م.
٢٥- على مصطفى المصراتى: صحافة ليبيا فى نصف قرن: عرض ودراسة تحليلية لتطور الفن الصحفى فى ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٠م.
٢٦- فرنسيس ماكولا: الغزاة، ترجمة عبد الحميد شلقوف، ط ١، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع، لندن، ١٩٧٩م.
٢٧- فيليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية، ج 3، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩١٤م.
٢٨- لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى: ترجمة: عجاج نويهض، يحمل تعليقات بقلم الأمير: شكيب أرسلان، ط ٤، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.
٢٩- مجموعة من الأساتذة والباحثين: بحوث ودراسات فى التاريخ الليبى ١٩١١-١٩٤٣م، الجزء الثانى، ط ٢،، إشراف: صلاح الدين السورى، وحبيب وداعة الحسناوى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات التاريخية رقم (٤)، طرابلس، ١٩٩٨م.
٣٠- محمد إبراهيم لطفى المصرى: تاريخ حرب طرابلس، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق، بنها، مصر، ١٩٤٦م.

٣١- محمد إمحمد الطوير: الشيخ فرحات الزاوى أحد قادة الجهاد الليبى ضد الغزاة الإيطاليين، ط ٢، مطابع الوحدة العربية، طرابلس، ٢٠٠٣م.
٣٢- محمد صالح الجابرى: يوميات الجهاد الليبي فى الصحف التونسية ١٩١٢-١٩٣٢م، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٢م.
٣٣- محمد عبد الكريم الوافى: الطريق إلى لوزان الخفايا الدبلوماسية والعسكرية للغزو الإيطالى لليبيا، دار الفرجانى، طرابلس، ١٩٧٧م.
٣٤- محمد فؤاد شكرى: السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٤٨م.

ثالثاً: بحوث فى دوريات عربية:

١- جميلة الحرارى: المرأة والجهاد فى ليبيا، مجلة الشهيد، العددان ٩٣-٩٤، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٣م.
٢- حبيب وداعه الحسناوى: مؤتمر العزيزية ونتائجه على حركة الجهاد فى ليبيا ٢٥ أكتوبر ١٩١٢م، مجلة آفاق تاريخية، السنة الأولى، العدد الأول، منشورات الجمعية التاريخية الليبية، طرابلس، ١٩٩٦م.
٣- خليفة خالد: مذكرات خليفة خالد: مجلة الأفكار، العدد السابع، السنة الأولى، منشورات الجمعية الليبية التركية للصداقة، طرابلس، يوليو ١٩٥٦م.
٤- خليل الساحلى: ومضات من الوثائق العثمانية، مجلة الشهيد، العدد الثالث، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٣م.
٥- عبد الكريم الماجرى: الصحافة التونسية والغزو الايطالى لليبيا ١٩١١-١٩١٢م، مجلة روافد، عدد ٤، المعهد العالى لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، جامعة منوبة، تونس، ١٩٩٤م.
٦- عبد المولى صالح الحرير: موقف إيطاليا وألمانيا وإنجلترا من تركيا، مجلة البحوث التاريخية، السنة العاشرة، العدد الأول، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٨م.
٧- محمد مصطفى الشركسى: أحداث الحملة الإيطالية على ليبيا ٢٩ سبتمبر ١٩١١- ٢٩ سبتمبر ١٩١٢م، مجلة الشهيد، العدد الخامس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٤م.

٨- مصطفى حامد رحومة: الأبعاد السياسية لمعاهدة أوشى لوزان، مجلة الشهيد، العدد المزدوج السابع والثامن، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، أكتوبر ١٩٨٦م.
٩- ----------: النشاط السياسى الأوروبى وانعكاساته على حركة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثانى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، يوليو ١٩٨٥م.
١٠- ----------: دور الصحافة العربية فى حركة المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالى، مجلة الشهيد، العددان ٩٣-٩٤، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ١٩٨٣م.

رابعاً: الرسائل العلمية:

١- أحمد صدقى الدجانى: طرابلس الغرب فى آخر العهد العثمانى الثانى ١٨٨٢-١٩١١م، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م.
٢- أكرم عثمان عبد الرازق عمر: صلح لوزان وآثاره على حركة المقاومة الوطنية الليبية ١٩١٢-١٩١٤م، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٢م.
٣- رفعت عبد العزيز سيد أحمد: الجهاد الليبى فى عشر سنوات ١٩١٢-١٩٢٢م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٨٢م.
٤- زينب الجابرى التهامى: المقومات الثقافية فى ليبيا وأثرها فى مقاومة الإحتلال الإيطالى، رسالة دكتوراه، قسم البحوث والدراسات التاريخية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م.